

مَنْ عَلِمَ عَنَ النَّاصِرِ  
جَاءَ بِالشَّجَرِ



**لكل جديد وقديم وكل ما هو نادر  
من من كتب ومجلات ومجلدات**

**تابعوا موقعنا**

**#دوده\_الكتاب**

**[www.book100100.ga](http://www.book100100.ga)**

مَنْ عَلِمَ عَلَيْهِ النَّاصِرُ  
سَرِبَ الْجَائِرِ

عُرْطَافٌ

مَنْ عَلَى عِنْدِ النَّاصِرِ  
جَرِبَ السَّجَارِ





لمزيد من المعلومات عن الكرمة: [facebook.com/alkarmabooks](https://facebook.com/alkarmabooks)

حقوق النشر © عمر طاهر ٢٠٢٠

الحقوق الفكرية للمؤلف محفوظة

جميع الحقوق محفوظة، لا يجوز استخدام أو إعادة طباعة أي جزء من هذا الكتاب  
بأي طريقة من دون الحصول على الموافقة الخطية من الناشر.

طاهر، عمر.

من علم عبد الناصر شرب السجائر / عمر طاهر - القاهرة: الكرمة للنشر، ٢٠٢٠.

٢٠٨ ص؛ ١٧ سم.

تدمك: 9789776743236

١- مصر - تاريخ - مقالات

أ- العنوان

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٢٠ / ٢٠٠٨

٢٤٦٨١٠٩٧٥٣١

تصميم الغلاف: وليد طاهر

الإِهْدَاء

(في نهاية الكتاب)

## المحتويات

قبل أن تقرأ

٩

لماذا اختار السادات  
أن ينزل مطار «بن جوريون» ليلاً؟

١٣

لماذا اختار الفراعنة  
أن تكون الجنازات مناسبة للاحتفال؟

٢٧

فيمَ كان يفكِّر الخديو إسماعيل عندما قرر إنشاء البرلمان؟

٤١

ما الذي يمكن أن تتعلَّمُه المرأة الذكية من تنظيم «الضباط الأحرار»؟

٥٥

متى ظهر أول مُخبر في مصر؟

٦٥

ماذا كان يقصد فؤاد حداد بـ«الوز الأخضر»  
الذي كان يصلِّي على «القنايا من سينا»؟

٧٧

من أصلَّى بالدماءِ صفة البخل؟

٨٩

كيف كانت «اللجان» قبل أن تصبح «إلكترونية»؟

٩٩

هل كان نجيب محفوظ «تلميذ شاطر»؟

١١١

من عَلَّم عبد الناصر سُرُب السجائر؟

١٢١

هل كان المصريون أكثر «نصاحة» فيما مضى؟

١٣٣

ما الذي يدفع الملك فاروق لصداقة «كهربائي»؟

١٤٣

أين كانت تُباع تذاكر حفل أم كلثوم  
الذي أعلنوا أنه سيكون الخميس ٨ يونيو في تل أبيب؟

١٥٣

لماذا قام محمد علي بتأميم البن؟

١٦٣

كيف تعاملت مصر «الولادة» مع أزمة «البطن قلابة»؟

١٧١

إهداء.. إلى «بيتر»

١٨٥

مصادر

١٩١

## قبل أن تقرأ

ما الهدف من هذا الكُتيب؟

سؤال فشلت في الإجابة عنه في أول شهر عمل. كنت أهرب من علامة استفهام كبيرة تقفز في وجهي كلما جلست إلى المكتب، ثم كبرت في مرّة لدرجة أنها التهمتني، فركنت كل ما أجزته، وتفرّغت لسقاية مزروعات البلكونة، وتوصيل الأطفال إلى منزل جدتهم، والتجول في الشوارع الجانبية بلا هدف، ومحاولة التعرف عبر الإنترن特 على أفضل تمارين إزالة الكرش، والتنقل بين أرفف نادي فيديو نتفليكس، وانتظار ساعة وائل علام على إذاعة البرنامج الموسيقي صباحاً، ونصف ساعة محمد فوزي على إذاعة الأغاني مساءً، وشراء مواد طلاء وفرشة لتلوين مفاتيح الكهرباء في غرفتي، ومحاولة تخمين كيف ستكون حالي

الصحية عندما أبلغ السبعين، وكيف يجب الاستعداد لها مبكراً، فاشترىت جوز دمباز للتمرين ثلاث مرات يومياً، واستكشاف المطاعم المهجورة، وتأمل بلكونات الناس، وتتخمين القانون الذي ترصن به كل أسرة غسيلها. كنت أساعد الوقت على أن يمر سريعاً في انتظار أن تظهر أي ملامح لخطوتي القادمة بعد أن فسد هذا المشروع.

وبعد عدة أسابيع حدث أن افتقدت ما كنت أفعله: القفز بين الكتب والصحف القديمة، ومحاولة استخراج تاريخ من هوامش كتب التاريخ، واصطياد معلومة تبدو بلا قيمة، وتلميعها حتى تصبح اكتشافاً، والتلصص والتنقيب عن نميمة مهملة بين السطور... فعدت إلى المكتب، وغيرت وضعه، ثم قررت أن أوصل العمل مكتفياً بمحنة المذاكرة والاكتشاف، مؤجلاً الإجابة عن سؤال الهدف.

بعد فترة، شعرت أنني أُشبه صبياً وجد صالة المنزل مشتعلة بالمشاحنات والتحفز المتبادل والتخوين والاتهامات والأصوات عالية التوتر، صبياً يرى صالة منزله فيأسأ حالاتها منذ استقر بها، فقرر أن يهرب من هذا الجحيم إلى غرفته الصغيرة، ثم أمسك بكرتونة المكعبات الملونة، وأفرغ كل ما بها على الأرض، وجلس

يصنع من هذه المكعبات أشكالاً تسمح له باستعادة لياقته  
النفسية، أشكالاً لا هدف منها سوى أن يجد فيها أمثاله -  
الفارين من جحيم الصالة - ما يؤنسهم قليلاً.

هذه المكعبات هدية لك يا صديقي، محاولة لالتقاط  
الأنفاس، فأهلاً بك في غرفتي الصغيرة، ومعلش بس رجاء  
صغير وأنت تدخل: «اقفل الباب وراك».

عمر

٢٠٢٠

## لماذا اختار السادات أن ينزل مطار «بن جوريون» ليلاً؟

في «الحفيـد» كانت كريمة مختار تتصدر المشهد تغيّـر ملابسها، وفي الخلفية بعيداً يقوم مدبولي بالمرور على مفاتيح الكهرباء في الشقة لإطفائـها واحداً تلو الآخر كنموذج للأب المصري. كان مدبولي القادم من بعيد هو بطل المشهد، ولأجل هذا خلقت السينما. تمنيت أن أكتب هذا الفيلـم.

أو أكتب فيلـماً يبدأ عند اللحظة التي اكتشف فيها عبد الناصر وهو يتلقى العلاج في موسـكو عام ١٩٦٨ أن أصابع قدميه مصابة بـ«الغرغـينا»، وعليـه أن يصارع الوقت للنجـاة من البـتر، أسبـيع بين حمامـات المـياه المـعدـنية والطـينـية، خـوفـاً من التـدخل الجـراحي بعد أن سـاءـت الحـالـة. البرـدـ والـوـحدـةـ وهـيـمةـ عـسـكـرـيةـ وـصـدـيقـ عـمـرـ مـنـتـحرـ. تـفـتـيشـهـ

عن لحظات قديمة تمنحه شعوراً بالرضا عن النفس قد يصلح  
لكسر مراة اللحظات التي اكتشف فيها كم كان مُفِرطاً في  
الحمقابة. مكالمات تلفونية مع أسرته: هل كان الأب الذي  
يتمناه؟ الأرق الناجم عن تصلب شرائينه، وساعات نوم  
قليلة، وكيف كانت أحلامه وكوابيسه، وعلامات المستقبل؟  
الضابط الذي كان يأخذ استراحة محارب قبل عدة سنوات  
في خيمة على جبهة حرب فلسطين، يستمع مع أفراد كتيبته  
إلى أم كلثوم في الراديو، كيف استقر به المقام هنا في هذا  
البرد القارس، محروماً من الأشياء القليلة المفضلة لديه:  
المشي والدخان والشعور بالزهو؟!

أم كلثوم نفسها تستحق فيلماً، لكنها ستكون بطلة  
ثانوية. البطولة الأولى ستكون لشخصية «فاطمة»، زوجة  
الم伶ن محمود الشريف<sup>(١)</sup> التي كانت «تُبلّع» أدوية القلب  
التي تتناولها بكلمات مصطفى أمين في مقاله الذي هاجم  
فيه بشراسة خطوبة زوجها وكوكب الشرق. فتحت فاطمة  
بيتها لأم كلثوم، وكانت صديقة للأسرة، لكنها لم تتوقع هذا  
المصير، لم يمر بخيالها أن لقاءات زوجها وأم كلثوم أكبر  
من مجرد مطربة وملحن. تفكير في هذا الحب الذي جعل  
أم كلثوم تقبل أن تكون زوجة ثانية وامرأة ثالثة في حياة  
الشريف؛ كان الشريف يهرب من أم كلثوم وفاطمة عندما

تتعثر في صدره الألحان إلى «فردوس» في المنصورة، لترق روحه وتلهمه وتفك أسر الموسيقى؛ فتاة ليل وقع في غرامها، ثم هجرت المهنة على يديه، وتفرغت في بيت من حجرة لاستقبال حب حياتها متى احتاج هو إلى ذلك. كتب مصطفى أمين في مقاله ما أنهك قلب زوجة الشريف المريضة فتوفيت. يقول الشريف: «مقال أمين عجل بجنازة قلبها المرهق». وهكذا يرى الناس أمين كاتباً كبيراً، ما عدا محمود الشريف يراه قاتلاً، وهو ما لم يره بطل الفيلم في نفسه.

أو أكتب فيلماً عن الأميرة فايزة، شقيقة الملك فاروق، التي بقيت في مصر فوق في غرامها جمال سالم. جن بجمالها، وأصبح «متولّاً» بها (و«التولّة» في المعجم: السحر). الضابط القادم من بيئه خشنة وقع في غرام الملكية الناعمة ذات العينين الملوتين، وطاردها كثيراً، ثم طلب من عبد الناصر السماح له بالزواج منها، فراوغه وطلب منه بعض الوقت حتى تأتي لحظة مناسبة. ترك ناصر صديقه يعيش أحلام النعيم العاطفي الم قبل عليه، واستغل أول فرصة فقام بتهريب الأميرة سراً إلى تركيا، ليُغلق ملفاً قد يؤذى الجميع، وقال: «هل قامت الثورة ليتزوج الضباط من الأميرات؟». ثم صدرت أوامر بمحاكمتها غيابياً على الهروب بمجوهرات

العائلة المالكة، «ليورطها» أكثر في الهروب وعدم الرجوع  
(و«الورطة» في المعجم: الوحل الشديد).

أو فيلماً عن لحظة اكتشاف محمد علي أن العقاب  
الإلهي على مذبحة المماليك كان مؤجلاً. كان محمد  
علي قد أرسل حملات إلى السودان لجمع رجال من  
هناك لتشكيل نواة للجيش، واحدة منها كانت بقيادة ابنه  
إسماعيل، وكان نموذجاً في الفشل والتهور والقسوة،  
فما كان من ملك منطقة شندي إلا أن رتب مأدبة كبيرة  
لإسماعيل باشا على شرفه، تماماً مثل «عزومة المماليك»،  
وقرر الملك أن يُنهي المأساة التي كانوا يعيشونها فأحرقوا  
إسماعيل ابن محمد علي حياً. حزن الباشا خاصة أنه فقد  
ابنه طوسون قبلها بفترة، ثم انتقم بإخضاع السودان لحكمه.  
يلوم البعض ناصر على أنه فرّط في السودان لاحقاً، وأفضل  
رد قاله صلاح سالم: «قرار الانفصال لا يخص مصر،  
ولكنه يخص السودانيين».

أو فيلماً عن نجمة سينمائية في أوج مجدها، تخطط  
لترك كل شيء والهروب من بلدتها. حكاية تبدأ عند  
مشهد ضابط مخابرات يترك لفافن حمامنة عدة كتب عن  
الجاسوسية، طالباً منها أن تقرأها جيداً، لأنها ستحتاج  
إليها، مؤكداً على سرية الأمر. الأماكن كلها، والبيوت،

والهواتف، تحت المراقبة. تطلب فاتن مشورة صديق، فينصحها باعتذار رسمي للضابط، ثم محاولة ترك مصر هذه الفترة. تعذر، ثم تبدأ المضايقات، وأولها رفض كل محاولات لها للحصول على تصريح السفر (قال أحدهم: أيام الستينيات كنت تحتاج إلى واسطة «علشان تعرف تخرج»، بينما الآن تحتاج إلى واسطة «علشان تعرف تقعد»). لكن فاتن لم تيأس، وكانت تبحث عن خطة، فوَقَعَت عقودًا ثلاثة أفلام دفعه واحدة مع المؤسسة العامة للسينما، واستلمت دفعه من مستحقاتها، ثم لجأت إلى رئيس الوزراء طالبته السفر لزيارة حماتها المريضة في إسبانيا مع العودة سريعاً لبدء تصوير الأفلام التي تنتجهما الحكومة. حصلت على التصريح، وطال انتظارها. بعد شهر دخل واحد من أقارب فاتن على رئيس المؤسسة العامة للسينما يحمل له مظروفاً به الأموال التي استلمتها فاتن، مع خطاب اعتذار، وطلب إعفاء من بطولة الأفلام، لأنها لا تتوقع عودتها قريباً. وكان طلبها من قريها ألا يُسلم الخطاب قبل مرور شهر على سفرها. ولم يعرف أحد أي شيء عنها، حتى ظهرت في باريس ضمن مظاهره تدعم مصر ساعة وقوع النكسة<sup>(٢)</sup>.

أو فيلماً عن الأشهر التسعة التي قضتها شخص بقيمة

عباس محمود العقاد في السجن في صحبة أرباب السوابق. كان يدافع عن الدستور في البرلمان، وقال إنه لا يمانع في سحق أكبر رأس في البلد احتراماً لهذا الدستور. كانت التهمة: «العيوب في الذات الملكية». ورفض الملك العفو عنه. تسعه أشهر جمع القدر فيها بين العقاد ونوع من الناس لم يمر ما يشبههم في حياته من قبل، مَنْ فيهم سيقدر على تغيير أفكار الآخر ونظرته إلى الحياة؟

أتمنى أن أكتب فيلماً يحكي كيف جعلتنا الأفلام نحب الشتاء: «شدة سوستة جاكيت عمرو دياب الجلد حتى نهاية مسارها» (آيس كريم في جليم). تلفيحة أحمد زكي بالشال الأبيض فوق الهاي كول السوداء (الهروب). شبورة الفجر في باب اللوق التي كان عادل إمام يشق طريقه خلالها جريأاً (الحريف)<sup>(٣)</sup>. منقد الفحم و«قنفة» نور الشريف عند رُوقة (العار). البخار الخارج من فم محمود عبد العزيز وهو يشكوا لعم مجاهد (الكيت كات). بالطوط طوط محمود حميده وأغاني مني عبد الغني (الباشا). مشاعر «حكايات الغريب» بموعد مشاهدة ثابت أول أكتوبر أول الشتا. بلوفرات آثار الحكيم الملونة وهي تجري مع حبيها في شوارع وسط البلد «المغيمة» (الحب فوق هضبة الهرم). بطانية صوف العسكري اللي لف عادل إمام بها نفسه في القطار (المشبوه).

أو فيلماً عن الأيام الأخيرة في حياة فتى الشاشة الأول في تاريخ السينما المصرية، معبود النساء، ومرجعية مقاييس جاذبية الرجل في جيل أو اثنين. تبدأ الأحداث عندما التقى عماد حمدي في فترة يشعر فيها بالوحدة والوحشة بممثلة ناشئة أثناء تصوير أحد الأفلام. وقع في الغرام باهتمامها، ولم يتوقف كثيراً عند فارق السن. تزوجا، ثم أنتج لها بأمواله الفيلم الذي كانت تحلم به، وكتب أوراق الفيلم باسم زوجته الشابة كمتيبة، هرباً من مشاكل مع الضرائب. نجح فيلم «بمبة كشر»، وحقق أرباحاً عظيمة، لم يتحصل منها حمدي على ملييم واحد. بدأ فارق السن يعيّز عن نفسه، وبدأت المشاكل، فكان الطلاق. وعاد حمدي إلى بيت شقيقه لأنّه كتب شقة الزمالك ذات الحجرات الخمس للنجمة الشابة في بداية الزواج. عاد فتى الشاشة الأول ليبدأ من الصفر. قدم دوره في فيلم «سوق الأتوبيس»<sup>(٤)</sup>، على الرغم من شعوره الدائم بالتعب والإرهاق، ولكن الفيلم فشل تجاريًّا. فقرر أن يحاول من جديد، فمثّل دور الأب في «العار»، كانت حالته الصحية قد تدهورت، لكنه تماشك حتى أنهى دوره في الفيلم، وبعدها بيوم اتصلوا به ليخبروه أن هناك أجزاء من الفيلم احترقت في المعمل ولا بد من إعادة التصوير،

ولكن البطل - الذي كان يُصوّر خمسة أفلام دفعة واحدة في بداياته - قال لهم: «مش قادر أكمل». في هذه اللحظات فوجئ بـ«فتحية»؛ زوجته الأولى التي طلقها قبل أربعين عاماً، تطرق بابه حاملة حقيقتها لتسقّر معه، ترعاه وتحدهم، على الرغم من أنها كانت مريضة قلب. تراكمت الأحزان بعدها على حمدي عقب رحيل شقيقه التوأم، ودخل في اكتئاب. يقول حمدي: «كان العلاج عسيراً، حتى طرق بابي بدون سابق ميعاد الشیخ الشعراوي مع عبد الوارث عسر. كانا قد عرفا خبراً اكتئاب من الصحف. منحتني الزيارة السلام»، وهو الشعور الذي بدأ به حمدي رحلة جديدة عقب الزيارة بفترة قصيرة.

أو فيلماً عن الساعات التي قضتها السيدات في الطائرة، في الطريق إلى مطار «بن جوريون» (القدس). نظرته إلى مستقبل كل شيء عقب الزيارة، مختلطة بنظرته إلى الطريق الذي قطعه حتى هذه اللحظة. كيف قاوم مخاوفه وهواجسه؟ وكيف تحول كل ذلك إلى مشاهد في رأسه؟ أفكّر كثيراً، لماذا اختار السيدات أن يدخل الأرض المحتلة ليلاً طلباً للسلام؟ هل لأسباب أمنية، أم لأنّه أطمأنّ نفسياً إلى الليل اطمئنان شخص لستر الظلم وهو يسرق؟ ارتباك السيدات بدأ من اليوم الذي أعلن فيه

داخل البرلمان أنه على استعداد للسفر إلى إسرائيل: بعد عودته إلى منزله وسط شخصاً ليطلب من مسؤولي جريدة «الأهرام» أن يحذفوا هذا الجزء من خطابه، كان الوقت مبكراً فتم تنفيذ رغبته، لكن قبل منتصف الليل، وبينما الجرمان على وشك الخروج من المطبعة وسط شخصاً آخر طلب إيقاف الطباعة، وإعادة الجزء المحذوف، ووضعه في الصدارة.

أو فيلماً عن اللحظات التي كان فيها رجال النظام السابق يتبعون على شاشة التلفزيون دبابة تابعة للجيش المصري تسير في أحد شوارع وسط المدينة، وقد سمح قائدها للناس أن يكتبوا عليها بالسباي الأسود وبخط عريض: «يسقط حسني مبارك». كان هناك بينهم من يُنظم أفكاره للهروب، ومن يُنظم دفقات شعوره بالندم، ومن يُنظم أكاذيب جديدة. هناك الواقع من كونها عاصفة في المحيط، وهناك من كان يرى المحيط يبتلعه. أياً دِتَرتعش من فرط الأدرينالين، مكالمات تلفونية تمتليء بالأسئلة والصمت، لا أفكار واضحة بخصوص المستقبل، لكن شريط أحداث الماضي يمر سريعاً بتفاصيل واضحة. الوقت لا يكفي لملاحقة ما يحدث، حصر للثروات المستقرة بعيداً عن الأعين، ارتباك صحي يثير فزع

المحيطين، اعترافات مؤجلة تنفجر، خيانات صغيرة،  
أقنعة تسقط، سلطة تُتنزع، أحجام تتضح حقيقة مقاساتها،  
الأمن غائب، وطرق يحرسها أصحاب ثأر، وناس تغنى  
في ميدان التحرير فِرحةً، بينما يتضاعد من خلفهم دخان  
احتراق محراب الحزب الوطني المقدس.

فيلم السينما يعبر عن صراع وأزمة، الأمر الذي يجعل  
كل لحظات حياتنا أفلاماً: اللحاق بالركعة الثانية في صلاة  
الجمعة، موافقة الكلينت، خلع الحجاب وارتداؤه، العثور  
على «ركنة، واسطة، مدرسة قريبة للبيت، لينك للمباراة،  
تذكرة لحفل عمر خيرت، محامٌ شاطر، طبيب عنده ضمير»،  
الوقوف بين يديّ محصل الكهرباء، وهي اللحظة التي يبدو  
أنها أزمة قديمة من أيام عبد المنعم مدبولي.

---

#### هامش ١

في الحوار الصحفي الذي كشف خبر خطبة أم كلثوم والشريف، سألها مصطفى أمين هل ستتعزل الغناء بعد زواجها من الشريف، فقالت: «الأمر له وما يريد». وهي الإجابة التي قلبت الدنيا حرفياً. فرأى أحمد رامي الخبر، فخرج من بيته مهرولاً

بالبيجامة من أثر الصدمة، وركب الترام هائماً حتى لفت نظره الكمساري لما يرتديه. وهجم زكرياء أحمد على الفيل، ووقف على بابها يسب لأم كلثوم والشريف. أما محمد القصبيجي، فقد حمل مسدسه وهجم مباشرة على غرفة نوم أم كلثوم، وكان يخبئه في ملابسه، وعندما رفعه في وجهها لم يتتحمل جسده النحيل ثقل المسدس فوقع به أرضاً.

غضب القصر الملكي وكبار الباشوات، وكان الضغط النفسي كبيراً على أم كلثوم، حتى إنها مرضت، فسارع الشريف وأحضر لها طبيباً كان صديقاً له، اسمه حسن الحفناوي، عالج الحفناوي أم كلثوم ثم تزوجها، وكانت الزوجة الثانية. من أشهر الحان محمود الشريف: «حلو وكذاب» لعبد الحليم حافظ. «رمضان جانا» و«يا أهل المحبة» لمحمد عبد المطلب. «ثلاث سلامات» لمحمد قنديل. نشيد «الله أكبر» و«ع الحلوة والمُرّة» و«وله يا وله» لعبد الغني السيد.

## ٢ هامش

كان مصطفى أمين من أوائل الأشخاص الذين توقعوا علانية حدوث النكسة، لكن جمهوره في هذه اللحظة لم يكن سوى مأمور السجن الذي يقضي فيه أمين عقوبة الحبس في تهمة التخابر مع جهات أجنبية.

استدعاء المأمور من زنزانته، وطلب منه التوقيع على ورقة

مرسلة من رئاسة الجمهورية، مكتوب فيها: «أقر أنا الموقّع  
أدناه فلان، بالتنازل عن شقتي رقم ٦٢ في ٨ شارع صلاح  
الدين بالزمالك بكل ما فيها من أثاث».

كان الأمر مستفزًا، فكتب أمين على الورقة بخط يده:  
«أرفض أن أتنازل عن شقتي، وأنا في دهشة أن أقرأ في الصحف  
أن الجيش المصري يحشد للاستيلاء على إسرائيل، بينما  
أجد أحد كبار ضباط الجيش المصري يحشد للاستيلاء على  
شقتي». وقع الورقة، وأعادها إلى المأمور مع تلميحات عن  
هزيمة متوقعة وقريبة. تعامل معه المأمور باعتباره شخصاً فقد  
عقله بسبب السجن، وأنه يتحدث عن الهزيمة، بينما كل شبر  
في البلد يتحدث عن انتصار قادم. وأمر بعزل أمين عن بقية  
المساجين حتى لا تنتشر العدوى.

وعندما وقعت النكسة استدعاه المأمور وسأله: «كيف  
عرفت؟»، فقال أمين: «واحد زائد واحد يساوي اثنين، ونحن  
لم نكن نُعدُ جيشاً ليحارب، ولكن كنا نُعدُ جيشاً ليحافظ على  
النظام. الضباط الذين أرسلناهم في بعثات إلى الكليات العسكرية  
في روسيا وأمريكا ويوجسلافيا، عادوا ليتم تعينهم رؤساء  
مجالس إدارات شركات الصابون والسردين وتعمير الصحاري.  
المحاربون في المكاتب، فمن سيحارب غير المدنيين؟».

ملاحظة أمين السابقة، ردّ عليها الكاتب الكبير محمود  
السعدي قائلًا: «كان هناك ضباط أصحاب رغبات شخصية  
وأطماع في السلطة، وكانوا عبيداً على الثورة، واستطاع

عبد الناصر بذكاء عظيم أن ينقل هؤلاء الضباط خارج الجيش، وأسند إليهم مناصب مدنية، لكي يظلوا بعيداً عن القوات المسلحة حمايةً لها».

لكن مالم يُعلق عليه السعدني -حسب علمي- واقعة كانت قبل النكسة بقليل -رواهها مصطفى أمين أيضاً -حدثت عندما ظهرت أخبار عن اجتماع طويل عقده بعض القادة، ولم يكن الاجتماع له علاقة بالحرب، وإنما عُقد برئاسة المشير عامر بصفته رئيس اتحاد كرة القدم، والفريق مرتجمي باعتباره رئيس النادي الأهلي، والفريق صدقي محمود باعتباره رئيس نادي الطيران، والاجتماع كان لمناقشة انتقال اللاعب «لمعي» من نادي المنصورة إلى النادي الأهلي.

#### هامش ٣

منذ انطلقت مسيرة نجومية عادل إمام، لم يتعرّض إلى أمر مماثل لما اختبره في أول عرض لفيلم «الحريف»، عندما عبر الجمهور عن استيائه من الفيلم بالصفافير والتعليقات الساخرة بعد نصف ساعة فقط من بداية عرضه، الأمر الذي جعل الزعيم يغادر السينما قبل نهاية الفيلم.

هذا السقوط الجماهيري قابله نجاح نceği كبير لواحد من أجمل أفلام السينما المصرية، لكن الزعيم المشغول بالجماهير أكثر من النقاد، اجتهد في العام نفسه ليلحق بشعبيته قبل أن

تسرب من بين يديه. وقد نجح في ذلك بعد أن قدّم قبل نهاية العام ثلاثة أفلام دفعة واحدة: «خمسة باب»، و«عنتر شايل سيفه»، و«المتسول»، وهي الأفلام التي رضيت عنها الجماهير، لكن قال عنها النقاد ساخطين: «أصبح عادل إمام بضاعة لمن يمتلك الثمن».

#### هامش ٤

من أغرب مبررات الفشل الجماهيري في تاريخ السينما المصرية، ما قدّمه أصحاب فيلم «سوق الأتوبيس»، الذي عُرض في سينما «كايرو». وكان كل فيلم يعرض وقتها في دار عرض واحدة فقط. قال أصحابه إن الفيلم لم يحقق إيرادات لأن «التكيف في سينما «كايرو» كان عطلان».

احتل فيلم «سوق الأتوبيس» المركز الثامن في قائمة «أفضل مائة فيلم مصري»، والتي أعلنت على هامش مهرجان القاهرة السينمائي الدولي عام ١٩٩٦ بعد استفتاء النقاد.

## لماذا اختار الفراعنة أن تكون الجنائزات مناسبة للاحتفال؟

أمسكت بيدي جدتي لأساعدها على صعود درجات السلم الخمس العالية في مدخل المنزل. تقف خلفنا فتحية صديقة عمرها، قالت إنها سبق لها أن شاهدت هذا المشهد معكوساً: كنت طفلاً وجدتي تمسك بيدي لتساعدني على صعود الدرجات نفسها. ثم أطلقت من أعمق نقطة في صدرها تنحيدة على العمر الذي مضى. داعبتها قائلاً إنها لا تزال صغيرة، فعلّقت بـ: «أنا وجدتك في أرذل العمر خلاص»، فقالت جدتي: «إن أرذل العمر ليس رقمًا، ولكنه اللحظة التي يشعر فيها الشخص أنه أصبح رذلاً، وإنّت يا فتحية رذلة من يوم ما عرفناك». ضحكت فتحية وسخسخت الجدة، وكان آخر لقاء بينهما. لمحتُ الجدة تبكيها بحرقة قائلة إن ضهرها انكسر.

برحيل ذراعها اليمنى وشريكه المشوار، التي لا يبدأ نهار الجدة بدونها: فتحية تُسوّي القهوة، بينما الجدة تقض علىها مالفت نظرها في جريدة الصباح. عندما بلغ محمد الموجي خبر وفاة عبد الحليم، أخذ يتصل بكل من يعرفه ليبلغه الخبر قائلاً: «عودي انكسر، عودي انكسر». كانت جنازة حليم مهيبة، وكان حزن الناس عنيفاً لأنه كان قائماً على الصدمة، حتى إن هناك طفلاً اسمه سمير سيد (٨ سنوات)، تُوفّي نتيجة الزحام، ودارس فوقه الناس وهو يلهثون خلف الجثمان في طريقه إلى البساتين، لكنه رحمه الله تُوفّي من أجل نعش فارغ! يحكى ابن شقيق حليم عن قرار وزير الداخلية الأسبق أحمد رشدي عندما كان أحد الضباط المكلفين بالتأمين، كان القرار أن تضم الجنازة نعشين: واحداً يخرج مع الجمهور بالجنازة المذاعة، وأخر حقيقةً يخرج إلى مدفن حليم، وذلك لحمايته من اختطاف الجمهور المصدوم. ربما كان حليم هو الوحيد الذي يعرف أن الموعد اقترب، كان قد اشتري أرضاً في البساتين قبل ١٧ عاماً، لكنه لم يوفق على بناء مقبرة بها إلا قبل ٤٥ يوماً من رحلة علاجه الأخيرة في لندن.

الجميع ما عدا السادات، كانوا في انتظار اللحظة ويتوقعونها، حتى إن وزير الداخلية النبوى إسماعيل ونائب

رئيس الوزراء، كانا يبحثان قبل الحادث بيوم عن إجابة لسؤال الوزير: «لو الرئيس أُغتيل بكرة في ساحة العرض، الوضع الدستوري في البلد سيكون إيه؟»، وأحضر نائب رئيس الوزراء نسخة الدستور بحثاً عن إجابة.

لم يصدق السادات أنه قد يتعرض لمثل هذا الموقف يوماً ما، على الرغم من كونه شخصاً ماحاً، ولديه قدرة على رصد التفاصيل الصغيرة، وهو على عكس ما يُشاع عنه. قال البعض إن إسرائيل استغلت سمعة عدم اهتمام السادات بالتفاصيل، ورفضه لمطالعة الأوراق والمستندات بدقة مثلما كان يفعل عبد الناصر، ورتبت على هذه السمعة وثائق معاهدة السلام، حيث وضعت «على الوش» ما يهم السادات، ملخص النقاط التي تهمه، ثم خبأت بين السطور تفاصيل أخرى قد لا يرضى عنها السادات، اعتماداً على أنه لن يلتفت إلى ما بين السطور كعادته. لكن السادات كان يقرأ ما بين السطور حتى لو كان داخل نكتة.

في حفل كان مقاماً في قصر الرئاسة، وقف المونولوجست حمادة سلطان يُلقي نكتة عن اثنين يلعبان الشطرنج، ويرفض أحدهما تحريك العسكري، فسأله الآخر عن السبب، فقال: «مش هيتحرك غير لو حطتله «شنل» في إيده». ضحك الجميع إلا السادات الذي استدعى المونولوجست إلى

منضدته، وسأله عن مغزى هذه النكتة، فحدّثه سلطان عن أن ظروف العساكر الصعبة تدفعهم أحياناً إلى طلب هذه الرشوة الصغيرة. فاجتمع السادات بوزير الداخلية طالباً منه تحسين أوضاع الجنود الصغار الذين تحولت أحوالهم البائسة إلى نكتة، وهو ما أصدر به الوزير قراراً في اليوم التالي.

وهو رد فعل يختلف تماماً عن رد فعل مبارك عندما وجّه له الكاتب فرج فودة، في اجتماع الرئيس بالمتقفين، طالباً بتحسين أحوال معيشة أفراد الشرطة لأن أجورهم لا تكفي، فقال له مبارك غاضباً: «ما تقلقش يا أخوياء، هم بيعرفوا يتصرفوا، وعايشين كويس أويء!»

كان السادات أكثر ذكاءً، وفيهم أن الاحتياج قد يدفعك إلى ما هو غير متوقع.

تعرض الملك فاروق لزنقة، ولم يجد سيولة حاضرة، فاضطر إلى بيع مجموعة أوراق نادرة تخص والده، لأكبر بيت طوابع بريد في العالم بمبلغ مليون دولار، ويقول البعض إنها كانت خطوة أولى لتنفيذ قرار يراود فاروق كثيراً بالتنازل عن العرش.

الاحتياج والظروف الصعبة قد تبني حاملي الجنسية المصرية عن أي شيء إلا الكرم. وعلى الرغم من عدم امتلاكنا للدليل على واقعة الشراقة الذين عزموا القطار،

فإننا نمتلك دليلاً على قيام قرى الدقهلية الفقيرة بذلك: بعد العدوان الثلاثي تم تهجير أهالي بورسعيد وشحونها في قطار إلى العاصمة، وعلى الرغم من الضنك الذي كان موجوداً وقتها، كان القطار يتوقف بأمر الأهالي عند كل قرية، ثم يصعد الفلاحون حاملين الطعام والماء، داعين من يرغب من البورسعيديين إلى النزول والإقامة في بيوتهم التي ستكون أفضل من ملاجئ التهجير في العاصمة، ففعل كثيرون. كرم الفلاحين كان محراجاً للدولة، خصوصاً بعد أن رفضوا الحصول على مليم واحد نظير هذه الرعاية، لكنهم قبلوا بمعونات حكومية من نوعية الدقيق والأرز وأقمشة الكستور والبيجامات والجلاليب وملابس الأطفال. ارتاح المهجرون للحياة مع الفلاحين، حتى إنهم قبلوا أن يسكنوا في المدارس والوحدات الزراعية بعد أن امتلأت البيوت، واختارت القاهرة أعداد قليلة منهم.

وهو ما تكرر في بداية الثلثينيات، ولكن مع «المدينة المنورة»، حيث وصلت أخبار عن تردّد اقتصادي وصل بسكان الحجاز إلى حدود المجاعة، وتبنّى الصحفي توفيق دياب (رئيس تحرير صحيفة «الجهاد») حملة لجمع التبرعات، مطالباً المصريين: «لننقدر إخواننا العراة الجائعين

أهل المدينة الذين تقطعت بهم الأسباب وكاد يُهلكهم «البؤس». تعامل المصريون مع الموضوع وقتها باعتباره كرامتهم الشخصية، وعلى الرغم من ضيق الحال والكساد وأثار الحرب العالمية الأولى، فإنهم لم يتأنروا، واعتبروا إنقاذ مدينة الرسول مهمة وطنية، وتبرع المسيحيون والمسلمون بعد أن شَكَّل سكان الأقاليم - وهم الأكثر عوزاً - لجأاً لجمع التبرعات التي بلغت عشرة آلاف جنيه تم إيداعها في بنك مصر باسم فقراء الحجاز.

هناك من يعتقد أن المصريين أصحاب حيلة في الادخار، وإنكار الثروة، والاختراع المسجل باسمهم: «تحت البلطة». والأقرب إلى الحقيقة أن أصحاب البيوت التي تحفظ توازن مصر<sup>(\*)</sup> يمتلكون طاقة رهيبة للتعايش مع الظروف، والتحايل على الأزمات لامتصاص قسوتها. ويرى الجاهل في الشبرقة التي يعيشونها أنهم «معاهم فلوس» (شبرق الشيء بمعنى قطّعه ومزّقه). وهم أصحاب اختراعات فعلاً توسع عليهم، تقوم على المكاشفة لا الكتمان، عندك مثلاً «الجمعية» و«النقطة»، أفكار شعبية لتدوير الأموال، والمليان يكب على الفاضي، مع تبادل مستمر لهذين الموقعين.

وقع في هذا الفهم شخصية مثل سيدنا عثمان بن

عفان (رضي الله عنه)، عندما كان خليفة للمسلمين، وكان عمرو بن العاص واليًا على مصر. كان عمرو يجمع جبایة في حدود «الثمانية ألف ألف»، ولم يعجب سيدنا عثمان بالرقم، وربما أحس أن ابن العاص متهاون، فعزله وعيّن عبد الله بن أبي السرح الذي جمع جبایة تفوق «الأربعة عشر ألف ألف»، فنظر عثمان إلى ابن العاص وكان عنده في المدينة قائلاً: «هل عرفت أن ناقتك قد درت من بعده؟»، فقال: «نعم، ولكنكم جاع من أولادها؟»، وكانت الإجابة بعد سنوات قليلة، عندما فشل الوالي أن يجمع أكثر من «الثلاثة ألف ألف».

كثيرون يقعون في هذا الخطأ، ينظرون إلى الناقة ولا يلتفتون ناحية أولادها. والمصريون ينجون لأنهم ليسوا أهل طفاسة (طفس المرء بمعنى اتسخ)، ولا يعرف معظمهم «بودا»، لكنهم يسرون على قaudته الشهيرة: «أحمق من يموت من الخوف على ما يمتلكه وهو لا يمتلك نفسه أصلًا».

هناك مقاتلون في معارك الحياة اليومية، وهناك رُهاد مبدأهم: «إن لم تسته شيئاً فلن تفقده». وكان يحيى حقي يقول: «أمر في يومي على فتارين كثيرة تمتلىء بجميع أنواع البضاعة البراقة المغوية، وأحمد الله أنني لا أحتاج إلى

أي شيء منها». لست متأكداً إن كانت قناعة من الأديب الكبير، أم أنها حكمة التقدم في العمر، مثل قريبي التي أيقنت أن الحياة الحقيقة تبدأ بعد الموت في الوطن الأصلي، هناك المبتداً وليس الخبر، فطلبت من أسرتها أن يشغلوا في جنازتها أغنية فيروز: «يا هوا دخل الها.. خدني على بلادي».

لا أعرف لماذا اتفقنا على أن تكون الجنائز مناسبة للحزن. كان أجدادنا الفراعنة يسمونها «احتفالاً جنازياً»، وحتى نهاية سبعينيات القرن الماضي كان النعش يخرج في رفقة فرقة تعزف الموسيقى التي تملئ بالشجن وقد اصطف أمامها في طابورين «المطبياتية»، وهم حملة المباخر، بالبدل السوداء الأنثقة والطراييش. لا مهرب من الحزن، أعرف ذلك جيداً، ولا أطالب برقض الدبكة بالنعش مثلما فعل اللبنانيون بنعش الفنانة صباح، لكن أفكر في تأمل الموت بنظرة أخرى جعلت الفراعنة يسمونه احتفالاً.

الحياة صعبة، رحلة مرهقة، وهناك شخص قد تجاوزها بنجاح.

هناك شخص أنهى المهمة بسلام، وعلى وشك أن يتذوق الخفة والراحة.

الراحل شخص عبر الطريق بكل ما فيه من شقاء.

تعلّم، ونجح، وعمل، وأفاد مَنْ حوله، واعتنى بأسرة، وربى، وعلم، وأطعم، دافع، وانتصر، وهزم، واستفاد من أخطائه، ونقل خبرته، وعمّر بقعة من الأرض، وأخذ بيد من يحتاجون إليه. جمع الأموال وأنفقها. جرب الفرح والحزن والغرور والغيرة والقلق والخوف والصبر والستر والمال والفقر. كافأ وعاقب، وكان أحياناً مثلّا يحتذى به، وأحياناً عبرة تعلّم منها الآخرون ألا يكونوا مثله. زرع أحواض نعناع، وأطعم حيوانات، وتصدق على من يحرجه طلب الصدقة. انتصر لقيم نبيلة، ودعم وجودها ولو في حدود مجلس ملوك العمارة. حمل فوق أكتافه من هم أصغر من معرفة أن الطريق صعب، وحمل أكياس الزبالة وهو نازل من البيت، وعمل براد شاي العصاري لأسرته. استقبل أناساً وودع آخرين، وطلع سالماً بـ«دينه». جرب الشر ولسعته آثاره. استوى من الندم، وشبع مقابلب وخيانات، وقضى ليالي يفكّر كيف يتقمّ، ولحظات كانت عمر قرار الصفحة. وعد وأوفى، وتوعّد وأخلف. وقف في عزاءات، ورقص في أفراح. جرب المرض والشفاء والإرهاق والكآبة وقلة الحيلة وألام أسئلة النفس. ولم يشنّه كل ذلك عن خطوة واحدة إلى الأمام.

هذه مسيرة شخص يستحق أن نحتفل بنجاحه فيها.  
أن نرى أنه «عمل اللي عليه». نحزن لأنه لم يعد موجوداً،  
ونفرح له لأنه «خلصها على خير».

حتى لو كانت النهاية محبطة قليلاً، مثل سليمان  
الحلبي، الذي شهد بعينيه قبل إعدامه جنازة مهيبة أقامها  
المصريون لـ«كليبر» قائد الاحتلال الفرنسي الذي اعتقاد  
الحلبي أنه يخدم المصريين باغتياله. أو مثل الملك فاروق  
الذي يقول المقربون منه إن وفاته الحقيقة حدثت يوم  
وصل بمركب المحروسة إلى منفاه في إيطاليا، وتوقع أن  
يستقبلوه هناك بالحفاوة المعتادة، لكنه عندما دخل المينا  
لم يجد في انتظاره سوى عسكري بوليس ومندوب وزارة  
الخارجية. أو مثل السادات الذي قال تقرير الطب الشرعي  
إن سبب وفاته كان الصدمة العصبية، ربما سبقت الصدمة  
العصبية الطلقات تحديداً عندما وقف السادات ليصبح في  
قاتلته: «ما تبلاش مجنون يا ولد». صدمه أنه لم يتوقع أن  
تكون هذه الطلقات هي مكافأته عن كل ما قدمه إلى أهله،  
بداية من التراجع عن رفع الأسعار، ونهاية بأوامر صريحة  
لوزير التعليم مصطفى كمال حلمي عندما استشعر ذعر  
الأهالي من الثانوية العامة بـ«نجاح العيال».  
ممر الثانوية العامة مضلل، وفتش مثلاً أين استقر

الأوائل على الجمهورية في الثلاثين عاماً الماضية. إجراء ظاهره الدرجات، وباطنه لا يعبر عن شيء حقيقي. بالضبط مثل أحمد بن طولون عندما بني المارستان (المستشفى) لعلاج المرضى وحماية الناس من الأوبئة، وكان قراره أن يظل المريض حبيس المستشفى حتى يُشفى، وكانت دلالة شفاء المريض أن يستطيع أكل رغيف ودجاجة كاملة، ساعتها يُسمح له بالمعادرة!

الأطباء عموماً لغز. وأذكر يوم جنازة فتحية صديقة جدتي أن قال لها المقربون إنها تبدو بعافية، وعليها أن تزور طبيباً، فقالت: «أنيس منصور كان كاتب في الجرnan من يومين: «الدكاترة لا بتخليلك تعيش براحتك، ولا بتسييك تموت براحتك». قالوالها: «يدّيك طولة العمر يا جدة»، فقالت: «اللي ما يموت.. منين يفوت؟».

---

### هامش

يحافظ البلد على اتزانه بفضل البيوت التي لا يمكن رؤيتها من على الوش، عميقه تحت الجلد.  
بيوت «صحوا العيال علشان تتعشى». وميثاق العيش

والملح الذي ينافس ميثاق الفاتحة، يحفظونه لثقتهم أن «الخاين بيغاف من ضلله». أصحاب نظرية «الاستئذان عكاز الأعمى»، يتسمون الأعذار لإيمانهم بأن «اللي يفتش ورا الناس، الناس تفتش وراه»، ويغضون البصر عن كون «الجار السو يحسب الداخل ما يحسب الخارج».

بيوت تتأمل المذيع آخر اليوم وهو «يزعق فيهم»، بينما لا يجرؤ أن يرفع عينه إذا خططت عتبة بيوتهم.

بيوت لا تطارد جمع الأموال، لكنها تطارد «البركة»، الرهان عليها معجزتهم المتكررة، قداسة الحلال والحرام دون نفرة عروق، والرضا بلا مصمصة شفافيف، ولكن بالاستمتاع بالمتاح حتى آخر نفس فيه.

بيوت زرع البلكونات، وأقفاص العصافير التي تعج أرضيتها بـ«الغلة».

بيوت تعوم فوق أهلي وزمالك، منذ أن كان البلاستيك عقدة الأول، والمنيا عقدة الثاني.

بيوت تستقبل الأغانيات بقلبهَا لا بأذنيها، المسلسلات جزء من حياتهم الشخصية، وهم الذين يزرعون جذورَالمن أحبوه، مثل أن تصبح واحدة من ألعاب أطفالهم «التصفيق العكسي» وهم يغنون: «عادل إمام.. هيلا.. لبس فستان.. لسه باروكة.. ويقى مدام». لا تدهشهم برامج المقالب الرمضانية، لأنهم اختبروا فكرة أن الناس هم أكبر برنامج مقالب. صور أم كلثوم جزء من زينة جدران الشرفات.

بيوت قوامها «الحساسة»، و«الكلام لكِ يا جارة ولا انتِ حمار؟»، والبحث عن عتبة جديدة، ليس بمنطق الاستعراض بل بحث عن تطور إنساني قائم على فكرة «العادات يسهل تغييرها في بيئه جديدة».

بيوت الجنة تحت أقدام أمهاها، لأنهن استهلكن أقدامهن في الجري خلف الابن علشان «ياكل، ياخذ الدوا، يذاكر، يخلص ورقه، يستغل، يتجوز، يخلف»، ثم يستهلكن ما تبقى في الجري من جديد، ولكن خلف الأحفاد، مع رغبة في تصحيح أخطاء الأمومة الأولى.

بيوت تغفر لأنها كريمة، وتكرم لأنها تعرف أننا في مركب واحد.

بيوت تقوم عظمتها على فكرة واحدة، وهي أنها - كما يقول «لوريانو» - لم تستسلم يوماً.

بيوت أيقونتها الذهبية الصبر، صبرٌ يدهشك، يقوم على فكرة أنه لو للصبر حدود «ما يتقاشر صبر»، وهو لا يشبه صبر برامج التنمية البشرية والطبطبة الفارغة، لكنه يقين بأن الأمور ليست كما تبدو لأول وهلة، وأن الوقت كفيل بوضع كل شيء في مكانه المضبوط، صبر «بكرة ترخصي يا ملوخية وتلقى على البيان»، «البيان» التي خُلقت لكي تظل مفتوحة.

## فيَمْ كَانَ يَفْكِرُ الْخَدِيو إِسْمَاعِيل عِنْدَمَا قَرَرَ إِنْشَاءَ الْبَرْلَمان؟

كان واضحًا أن أحداث الحلم تدور في بيت عبد الحليم حافظ. كنا في غرفة نومه الواسعة التي يغلب عليها اللون «الأوف وايت»، كان حليم يجلس في الفراش وقد أنسد رأسه إلى الحائط، ويخرج من ذراعه خرطوم بلاستيكي يتنهي عند زجاجة معلقة، بها سائل لونه أخضر، وإلى يمينه الملحن محمد الموجي يرتدي بدلة كاملة ورابطة عنق ويدخن سيجارة ملفوفة.

كنت أحاول أن أبيع لعبد الحليم كلمات انتهيت من تأليفها ليقدمها في أغنية، وكان يهز رأسه استحساناً وقد أغمض عينيه وأنا أتلوها عليه:

صَاحِي بَدْرِي وَلَقِيتِنِي  
مَالِيَه الشِّيكو لَاتَه جِيوبِي

ومخاخص حزني ولكن  
 متصالح ويَا عيوبِي .  
 يا صباح الثقة في النفس  
 والمزيكا باللمس  
 يا صباح الخير يا جيران  
 حايشين عن أوosti الشمسم .  
 أنا أعدّي الشارع طولي  
 أو أعدّي ساعات بالعرض  
 لا تجيبني يا نخل ف طولي  
 ولا حاجة تجيبني الأرض .  
 سمعني صباح الخير .

طرق حليم إصبعيه في الهواء معجبًا بما سمعه . وبعد  
 ثوانٍ قال إن الكلام رائع ، لكنه لا يشعر أنه مناسب له . بينما  
 سيطر الصمت على الموجي ، ولم يُبدِ استحساناً أو امتعاضاً ،  
 ثم نظر إلى قاتلاً جملة واحدة : «إنت غيران من الأبنودي !».  
 استيقظت منهشًا من تعليق الموجي ، أحاول أن أحدد  
 ما جعله يراني واقعاً في الغيرة من هذا الشاعر الكبير ؟  
 يقول «آلان دو بوتون» : «لا يشعر الشخص بالغيرة ممن  
 يفوقونه ، إنما يغار ممن يماثله». بمعنى أنه لا يثير غيرتك  
 أن يضع رجل أعمال يده على حديقة عامة ٦٥ فدانًا ملك

الموطنين في الشيخ زايد، لكن يقودك للجنون أن يضع  
جارك يده على مساحة أمام العمارة لركن سيارته «بجتزيير».

لا يشير غيرتك زواج امرأة عربية من «جورج كلوني»، لكن  
تقتل الغيرة في حنة ابنة عمتك تغنى أمامك وأنت العزباء:  
«وردنا مش وردكم.. ما خطبشي ليه من عندكم».

هناك فرق بين «أن تغار من» و«أن تغار على».

مثال: كانت غيرة جيهان السادات «على» زوجها  
كثيرة عندما كانت فيفي عبده ضيفة سمير صبري في  
أحد برامج التلفزيون نهاية السبعينيات، وسألها صibri:  
«إنتِ من فين؟»، فقالت له: «من ميت أبو الكوم»، فقال  
صibri فخورًا وفرحاً: «آه، بلد الرئيس». طبعاً اللحظة التي  
صارت فيها ميت أبو الكوم تقدم في جملة واحدة رئيس  
جمهورية وراقصة، كانت موجعة، فكان قرار غير مكتوب  
من قرينة الرئيس بعدم ظهور الراقصة والمذيع مرة أخرى  
على الشاشة. رأت قرينة الرئيس في تصريح فيفي إهانة  
لمكانة مصر، وهي المكانة التي عبرت عنها فيفي بعد  
أربعين عاماً بتصريحة الشهير: «دي مذكورة في القرآن  
يا أولاد الأُسبة».

والغيرة نفسها أنواع (وأرجو أن تغفر لي نزوة الإفتاء  
التي تهاجمني كل ٣٥٠٠ كلمة):

الغيرة العادمة: هي حالة أنت مشغول فيها بنفسك، تتأمل ما يورقك عند الآخرين ويثير غيرتك، وتحتاج من نفسك نقطة ارتکاز لرد فعلك، تنتقم بأن تتقدم.

مثال: سحبت أم كلثوم من سيد مكاوي كلمات أغنية «أنساك»، لأنه طالبها بالاتفاق على الأجر قبل العمل، وهو ما اعتبرته إهانة. وأعطت الكلام إلى بلية حمدي، فلحنها، وكانت انطلاقه عظيمة جرت بعدها أعمال كثيرة أدخل فيها بلية على فرقة الست الأورج والجيتار الكهربائي، وصارا تفصيلة ثابتة في فرقتها. وبعد سنوات، زال الخلاف بين مكاوي والست، وطلبت العمل معه. غيرة مكاوي من المساحة التي شغلها بلية في لحظة قدرية جعلته يؤسس لحنه العبري «يا مسهرني» على فرقة موسيقية بلا أورج أو جيتار. مسح ما أنجزه بلية، وعاد بأم كلثوم إلى التخت على الرغم من مخاوفها الشديدة، وقدم عملاً فذًا دفع أم كلثوم لأن تسحبه من يده إلى خشبة المسرح وتُقدمه إلى الجمهور بعد الحفل، وهو ما لم تفعله في حياتها مع أي ملحن، ولا حتى بلية.

عندك النفسنة: وهي حالة غيرة أنت مشغول فيها بالأخر أكثر من نفسك، تتمنى له الخسارة حتى تهدا روحك.

مثال: كانت نادية الجندي (التي لقبت نفسها بـ«نجمة الجماهير») تخصص موظفًا للحضور عروض أفلام نبيلة عبيد (التي لقبت نفسها بـ«نجمة مصر الأولى») ليقدم لها تقريرًا عن مدى نجاح الفيلم. وفي مرّة استمر عرض أحد أفلام نبيلة أسبوعين فقط (وكان وقتها نجاح الفيلم لا يُقاس برقم الإيرادات، ولكن بعدد أسابيع عرضه)، فاتصلت الجندي بعيد فرحة، وتركت لها على «الأنسر ماشين» رسالة: «ده الفيلم الأولاني، عقبال الثاني». كان الفيلم المعروض وقتها تجارياً بحثاً، وتعلمت عبيد الدرس، فقررت أن تقدم فيلماً ذات فنيات عالية، فكان «الغرقانة» مع محمد خان، وكان الفشل من نصيبيه أيضاً، وتلقت البطلة من جديد عبر «الأنسر ماشين» رسالة الجندي: «أهوه الثاني أهوه، والتالت جاي».

عندك الحقد: وهي حالة غيره أنت مشغول فيها بالأخر أكثر من نفسك، لكن لا تكتفي بتمني الخسارة له، بل إنك تقدم كل ما تقدر عليه لتكون سبباً في هذه الخسارة.

مثال: الشائع أن العدوان الثلاثي على مصر حصل بسبب تأميم قناة السويس، لكن الحقيقة أنه حدث لأن مصر عندما ألمّت القناة استطاعت أن تُشغلها بمفردها دون الحاجة إلى المرشدين الأجانب، وهو ما استفز العالم الذي كان يراهن على الفشل، وعلى استحالة عودة القناة إلى العمل بدون

الخواجات القائمين على تشغيلها منذ عقود. نجحت مصر،  
فأثار ذلك حقد المطرودين، فكان العداون. وهو ما عبرت  
عنه أم كلثوم في أغانيتها الوطنية:

رّيسنا قال

مفيش محال

راح الدخيل

وابن البلد كفى

محلاك يا مصري وإنْت على الدفة

الأغنية كلمات صلاح جاهين، وقد شاب علاقته  
بأم كلثوم بعض التوتر، خصوصاً عندما طلب من جاهين  
رأيه في أغنية أم كلثوم الجديدة «إنت عمري»، فقال: «أشعر  
أنها الابنة المراهقة لألحان رياض السنباطي».

جفوة أخرى بين المست وأديب آخر، هو يوسف  
إدريس. طلب منه أحد الإذاعيين تعليقه على منع التدخين  
في حفلات أم كلثوم، فقال: «لو جاء لي أحد أثناء الحفل  
طالباً مني أن أُطفئ سיגارتي، فسأنصرف فوراً». وهو  
كلام أغضب أم كلثوم، وعلقت عليه في لقاء صحفي  
بأنها تنصح يوسف إدريس أن يجلس ليستمتع بسيجارته  
في بيته، ويستمع إلى الحفل في الراديو.

عندما تأتي سيرة الحقد يظهر في أذهان البعض

مباشرة ضباط ثورة يوليو، وهي فكرة سرّبها شخص ما في مجتمع يقول أحمد شوقي عن غالبيته:  
أَثْرَ الْبُهْتَانُ فِيهِ وَانطَلَى الزُّورُ عَلَيْهِ  
يَا لَهُ مَنْ بَيْغَاءٍ عَقْلُهُ فِي أَذْنَيْهِ

ضباط ثورة يوليو كانت عندهم مشاكل من نوع آخر، ليس بينها الحقد، ويأتي على رأس هذه القائمة: «المراهقة». وهي حالة لا ترتبط بسن محددة، ولكن ترتبط بأدائك وما ينطوي عليه من عشوائية وانفعالات عاطفية وتقلب في المزاج وبعض الغرور، فهناك أب مراهق، وسياسي مراهق، وكاتب مراهق، وهكذا. تلك المراهقة التي جعلت تحية كاريوكا، أقوى نصیر لثورة يوليو، تقول بعد «شوية وقت» عن الضباط الأحرار: «شيلنا فاروق وجينا فواريق».

لم تكن ثورة يوليو حقداً على الباشوات، لأن الانشغال الحقيقي كان بالتسهيل على العاديين: تخفيض إيجار المساكن، الوحدات المجمعة، المساكن الشعبية، الجمعيات التعاونية، تأسيس منظومة القوى العاملة واعتبار البطالة مسؤولية الدولة، تلفزيون<sup>(١)</sup> في كل مركز شباب عند ظهوره، جعلوا الفن والثقافة متاحين للجميع بمشروعات أَسَّست لمحتوى نعيش من خيره حتى هذه اللحظة، التعليم المجاني (في العام السابق للثورة بُنيت ٣ مدارس، وفي

السنوات الخمس الأولى من الثورة بُنيت ١٢٣٥ مدرسة). كان التخفيف على الناس هدفًا أساسياً، وأقيمت هيئات حكومية لهذا الغرض. على العكس من غرض إنشاء هيئة حكومية شهيرة مثل البرلمان في عهد الخديو إسماعيل. كان إسماعيل قد بدأ في فرض ضرائب على المصريين لتسديد ديونه لبيوت المال الأجنبية. وعندما شعر بتململ المصريين، وأصوات عالية بدأت تظهر متسائلة عن أحقيّة الحاكم في كل هذه الضرائب التي سوّدت عيشتهم، وهي أصوات أقلقت الدائنين وأثارت تساؤلاتهم، قرر إسماعيل ساعتها تشكيل هيئة نيابية تصوّت باسم الشعب على الإجراءات التي تتخذها الحكومة لتصبح ملزمة شرعاً دون الرجوع إلى أحد، فكان البرلمان المصري.

الكيان الذي يفترض أن يكون صوت الشعب، صممته الخديو إسماعيل «بحيث إن محدث من الشعب يفتح بُقه»، بتكنيك عمل يقوم على فكرة أن يرسل الشعب مندوبياً للحكومة، وهي التي ستقوم بضبط «السيتاج» الخاص بـ«بُقه». وكان يحدث أحياناً خلل في ضبط المصنع، فتسمع من النواب أفكاراً المعيبة. في بداية الثلاثينيات مثلاً، طالب نائب مديرية قنا إبراهيم حسن بفك القيود عن زراعة الخشخاش كعلاج للأزمة الاقتصادية، ودعمه

في ذلك نائب فقط فكري الصغير قائلاً إن الفدان يعطي في المتوسط خمسة عشر رطلاً من الأفيون وقيمة الرطل عشرة جنيهات، بينما تكلفة زراعة الفدان خمسة جنيهات.

وحيثما قال له زملاؤه إن الأطباء أثبتوا احتواء الأفيون على مادة مخدرة مُضرة بالصحة، رفض كلامهم لأن التجربة من وجهة نظره أثبتت عكس ذلك. وربما جاء اقتراحهما من خلفية أن زراعة الخشخاش في مصر لم تكن مجرّمة في ثلاث مدن بالصعيد ( قنا، جرجا، أسوان) حتى بداية العشرينيات. لكن لم أجده تأصيلاً لأحد اقتراحات القضاء . على البغاء، الذي يقوم على فرض ضريبة على العزاب المقتدرین، ويرى صاحبه أنه سيفيد بطریقتین: الأولى التشجيع على الزواج بعد ارتفاع نسبة العنوسه (على أساس أن مصاريف فتح بيت ستكون أرحم من الضريبة)، والثانية استغلال ما يتم تحصيله في إعانة الساقطات بإنشاء المؤسسات لإصلاحهن.

ربما تبدو اجتهادات النواب السابق ذكرها، مُعبّرة عن مستوى ثقافة غلباً، وخيال قائم على الشطحات، لكنها خالية من شبّهات النفاق أو المجاملة. بخلاف نواب مجلس الشعب في نهاية السبعينيات، الذين شَكَّلُوا الجنة خاصة لعمل تعديلات يتم عرضها على الشعب، وفي

مقدمتها مادة أن يتولى السادات الرئاسة مدى الحياة. إلى هنا والأمور تبدو عادية، لكن الجديد هو اقتراح النائبة فايدة كامل إضافة مادة لا تتوقف عند رئاسة السادات مدى الحياة، لكنها تمنحه الحق في أن يُعينَ من يخلفه، ما يمكن اعتباره عودة إلى الملكية بثابع ختم النسر.

انشغلت ثورة يوليو بكرامة المصريين في الداخل والخارج، وإن لم يمنع هذا أن يكون ضحية أول احتكاك بمصري في الغربة واحدًا من مجلس قيادة الثورة. كان السادات<sup>(٢)</sup> في مأدبة عشاء رسمية في الكويت بوصفه رئيساً لمصر، وقبل سفره كانت هناك حملة صحفية تقول إن ناصر اختلس عشرة ملايين دولار كانت قرضاً لمصر، ولم يتدخل السادات بجسم لوقف هذا الكلام. وعلى العشاء قام المسؤول الكويتي وقال للسادات: «لا نقبل أن يُقال في مصر هذا الكلام عن ناصر الذي كانت خزائن مصر والعرب تحت أمره. وأطلب من سيادتكم أن تحدد أي مبلغ ترون أنه في ذمة ناصر، وسيقوم الكويتيون بتسديده عنه، وسنجمع المبلغ في ٢٤ ساعة». كانت حمقة المسؤول كبيرة، ووضعت السادات في «حوسة» (والحوس كلمة فصحى معناها: انتشار الغارة والقتل وتكراره. والحوسة مفردتها).

كان ناصر يفخر في خطاباته بأنه لا يمتلك سوى

«ستر رينا»، وهذا ليس دفاعاً عنه، فملخص تجربة ناصر  
بالنسبة إلى ما قاله عنه أحمد فؤاد نجم في قصيدة<sup>(٣)</sup>:

عمل حاجات معجزة  
وحاجات كثير خابت  
وعاش ومات وسطنا  
على طبعنا ثابت

والموضة حالياً هي تهشيم الرجل «عمياني»، وقراءة  
تجربته بمعزل عن زمنها وأدواتها، ومراقبة هذه الموضة  
تؤكد أن رينا «بيستر»، لكن المصريون «ما بيستروش»، ويبني  
معظمهم وجهة نظره على قرارات سابقة في ذهنه قد لا تكون  
هناك علاقة بينها وبين الواقع، مثلما فعل محمد الموجي مع  
كلماتي التي كان حليم سيعنيها لو لا تأثير غامض للسائل  
الأخضر العجيب الذي كان معلقاً إلى جواره.

---

## هامش ١

في بداية الثمانينيات كانت الكهرباء تصل إلى القرى بالقطارة.  
العادي أن يقول الناس وسط اليوم: «الكهرباء اتقطعت ساعة»،  
لكن شعار أهل القرى وقتها كان: «الكهرباء جات ساعة».

وزير الكهرباء وقتها ( Maher Abaza ) قال نصاً: «مخطط كهرباء الريف في بدايته كان هدفه إضاءة أربع أو خمس لumbas في المنزل للاستغناء عن الكيروسين نظراً لما سببه من حرائق. والهدف من هذه اللumbas كان توفير الإضاءة ليلاً للطلاب في القرى لانتشار التعليم، وجهاز تلفزيون في كل مركز شباب للترفيه. كان دخل الفلاح وقتها جنيهاً واحداً في اليوم، وبالتالي ليس في خططه شراء جهاز تلفزيون وفيديو، لكن بعد هجرة العمالة المصرية إلى الخليج، زاد إقبال الفلاحين على هذه الأجهزة، وأصبح هناك تلفزيون في كل بيت، وتضاعف استهلاك الكهرباء ١٤ مرة».

## هامش ٢

كان أغرب تفسير مر علي لاختيار عبد الناصر للسادات نائباً للرئيس الجمهورية هو «الشفقة». يقول محمود جامع، أحد أصدقاء الرئيس: «كلما حدث أمر مهم أو مشكلة، كان السادات «يعمل عيان»، ويُفهم عبد الناصر أنه سيموت قريباً، ويُوصيه على أولاده: «وحياتك الأولاد يا جمال»، وكان يكررها. فهم ناصر أن السادات سيموت قريباً، وأن الأمر لا خوف منه، فعينه نائباً!». اختفاء السادات ليلة ثورة يوليو، ثم قيامه بتتصدر المشهد بصوته، حين أذاع بيان الثورة، تكرر حرفياً عند وفاة ناصر. يقول المقربون إن ناصر استبعد السادات قبل وفاته بفترة،

والسبب شائعة تقول إن نائب الرئيس فرض الحراسة على  
فيلاً أعجبت زوجته. وكانت إزاحة السادات عن منصبه مسألة  
وقت، خصوصاً مع تغييرات سياسية كان يُرتّب لها ناصر، لكنه  
تُوفّي، وكان آخر من حضر هو السادات الذي قبّل يد ناصر،  
ثم غطى وجهه بملاءة السرير، ثم تصدّر المشهد بعدها بصوته  
حين أذاع بيان رحيل ناصر.

### هامش ٣

قال العم أحمد فؤاد نجم في قصيدة «زيارة إلى ضريح  
عبد الناصر»:

من ضلعنا نابت  
لا من سماهم وقع  
ولا من مراشابت  
ولا انخسف له القمر  
ولا النجوم غابت  
أبوه صعيدي وفهم  
قام طلّعه ظابط  
ظبط على قدنا  
وع المزاج ظابط  
فاجومي من جنسنا  
ملوش مرا عابت

فلاح قليل الحيا  
إذا الكلاب سابت  
ولا يطاطيش للعدا  
مهما السهام صابت  
عمل حاجات معجزة  
وحاجات كتير خابت  
وعاش ومات وسطنا  
على طبعنا ثابت  
وان كان جرح قلبنا  
كل الجراح طابت

## ما الذي يمكن أن تتعلمها المرأة الذكية من تنظيم «الضباط الأحرار»؟

داخل حمّامات مطار أمستردام، وضعوا ملصقاً صغيراً  
أشبه بذبابة في منتصف كل مبولة، وبعدها تغيّرت الأحوال  
كثيراً إلى الأفضل، فقد بدأ الرجال يستهدفون هذه الذبابة  
أثناء التبول، مما حسّن دقة التصويب وقلل تناثر البول،  
وخفض تكاليف نظافة الحمامات إلى الرابع.

تستحق التقدير المرأة التي تمتلك مهارة التعامل مع  
هذا الكائن المشتت، القادرة على إدارة العلاقة مع كائن  
يرتكب وهو يمارس فعلاً غريزياً، يضعون له علامات لإنقاذ  
العالم حوله من الطرешة، فما بالك به وهو يُعبر عن أي  
مشاعر أخرى أكثر تعقيداً؟

احترم المرأة التي تستطيع أن «تبئي الرجل هدومه»  
بالمعية حسن المخاطبة، مثلما فعل الضباط الأحرار مع

الملك فاروق. لم يدخلوا عليه في قصر المتنزه بالدبابات، لكن برسالة حملها السادات وسلمها إلى رئيس الوزراء «من الفريق محمد نجيب<sup>(١)</sup> باسم ضباط الجيش، إلى جلالـة الملك فارـوق»، وقـدم فيها تفسـيرـاً لما قـاموا به بعد الفوضـى التي عـمتـ الـبـلـادـ، وـقـالتـ الرـسـالـةـ نـصـاـ: «فـوـضـنـيـ الجيشـ المـمـثـلـ لـقـوـةـ الشـعـبـ أـنـ طـلـبـ منـ جـالـلـتـكـ التـنـازـلـ عـنـ العـرـشـ لـسـمـوـ وـلـيـ عـهـدـكـ الـأـمـيـرـ أـحـمـدـ فـؤـادـ قـبـلـ ظـهـرـ السـبـتـ ٢٦ـ يـولـيوـ، وـمـغـادـرـةـ الـبـلـادـ قـبـلـ السـادـسـةـ مـنـ مـسـاءـ الـيـوـمـ نـفـسـهـ، وـالـجـيـشـ يـحـمـلـ جـالـلـتـكـ كـلـ مـاـ يـتـرـبـ عـلـىـ عـدـمـ التـنـزـولـ عـلـىـ رـغـبـةـ الشـعـبـ». .

النـبرـةـ الـهـادـئـةـ الـمـمـنـطـقـةـ الـتـيـ تـحـافـظـ عـلـىـ الـأـلـقـابـ وـالـمـقـامـاتـ، وـتـلـمـعـ مـنـ بـعـيدـ لـعـوـاقـبـ مـجـهـولـةـ، جـعـلـ هـذـاـ كـلـهـ فـارـوقـ يـوـقـعـ وـيـرـدـ بـرـسـالـةـ أـكـثـرـ اـحـتـرـامـاـ، قـالـ: «لـمـ كـنـاـ نـتـطـلـبـ الـخـيـرـ دـائـمـاـ لـأـمـتـنـاـ... وـلـمـ كـنـاـ نـرـغـبـ رـغـبـةـ أـكـيـدةـ فـيـ تـجـنـيـبـ الـبـلـادـ الـمـصـاعـبـ... وـنـزـوـلـاـ عـلـىـ إـرـادـةـ الشـعـبـ، قـرـرـنـاـ التـنـزـولـ عـنـ العـرـشـ لـوـلـيـ عـهـدـنـاـ». .

قارـنـ المـرـأـةـ الـتـيـ تـمـتـلـكـ ذـكـاءـ الضـبـاطـ الـأـحـرـارـ - فـيـ حدـودـ الـوـاقـعـةـ الـمـذـكـورـةـ يـعـنيـ - باـمـرـأـةـ تـمـتـلـكـ موـهـبـةـ خـلـعـ الـأـلـقـابـ جـديـدةـ عـلـىـ زـوـجـهـاـ كـلـ فـتـرـةـ، فـتـنـصـبـهـ «ـشـرـابـةـ خـرـجـ»ـ (ـوـهـيـ مـفـرـدـ شـرـاشـيـبـ، وـهـيـ خـيـوطـ قـطـنـيـةـ مـلـوـنـةـ عـدـيمـةـ

الفائدة تُستخدم لترميم الخُرج، وهو حقيقة يدوية من القماش)، أو «المدعوق» (وهو الرجل الذي لا يعيش له أبناء)، أو «الخِرع» (وهو المندهش المنبهر بالأحداث لدرجة أنه لا يحسن التصرف معها).

المرأة التي تتفادى المعايرة بكلام يسمّ البدن. مثل أحد كُتاب مجلة روزاليوسف عام ١٩٤١، الذي علق على طلب ليلي مراد لأجر ألف جنيه للتمثيل أمام عبد الوهاب في «ممنوع الحب»، قائلاً: «ولما كان هذا المبلغ ضخماً، ولما كان عبد الوهاب هو الذي أوجد ليلي مراد من العدم، وأظهرها في عالم الغناء، ويمكنه أن يُظهر غيرها، فقد تم رفض طلبها والاتفاق مع رجاء عبده». أو مثل وزير الثقافة (عبد الحميد رضوان) الذي علق على مقال ليوسف إدريس انتقد فيه عجز الدولة الثقافي، فكتب الوزير في مقال نشرته «الأهرام»: «إدريس، هذا المجوّف، هذا المخدور (بيضرب مخدرات يعني)، حاش الله أن يكون هذا الإدريس من أبنائك يا كنانة الله». بالمناسبة، حكمت المحكمة للدكتور إدريس بتعويض عشرين ألف جنيه ونشر اعتذار رسمي. أو مثل وزير الداخلية السابق زكي بدر الذي كان يراقب تلفونات المسؤولين، ورصد مكالمة بين وزير مهام ظل في السلطة حتى رحيل مبارك، وفنانة كان على علاقة بها، وسمعها

تخره هاتفيًّا أنها أحضرت له «شوية كرافات حفة. تحب  
نتقابل إمتي يا روح قلبي؟». وبعدها بفترة كان هناك اجتماع  
لمجلس الوزراء، وفور دخول هذا الوزير إلى الاجتماع نظر  
إليه زكي بدر ضاحكًا ومتسائلًا: «الكرافات حلوة يا روح  
قلبي ولا طلعت واسعة عليك؟». وكانت فضيحة.

امرأة من هذا النوع هي شخصية لم تسمع ما قاله «جون  
كلير» يومًا ما: «طموح كل رجل أن يصل إلى القبر دون  
لحظة إحراج واحدة».

أحترم المرأة التي لا تواجه غضبًا بغضب، وتتفادى  
«سلام الجباس على الخباز»، وهو سلام كله عَفْرَة،  
ولا تعاقب مثل محمد علي باشا الذي كان يعاقب المتهرّب  
من دفع الضرائب بقطع حلمتي أذنيه، ولا تنقض عهودها  
مثل ناصر الذي أصدر أمراً في ١٩٥٦ بأن تُحذف من  
قانون المطبوعات جميع المواد التي تحمي رئيس الدولة  
من النقد، ثم أمم المطبوعات كلها. وتجنب حدة الطياع  
فلا تكون نسخة من فايزة أحمد التي جعلت عبد الوهاب،  
أثناء جلسة عمل، يقسم بالثلاثة أنه سيعزل التلحين (وكان  
أيضاً شرط هاني شنودة لتسجيل موسيقى أغانياتها:  
«ما اشوفهاش في الاستوديو وهاعملها اللي عايزاه»).

المرأة التي تفهم أن «قطة الرجل جمل» فتعامله بهذا

المنطق، مثلما أقام المصريون الأفراح والاحتفالات عندما شُفيت ذراع الناصر قلاوون المكسورة. وتعرف أن «عيب الرجال قلتهم»، وأن سوق الرجال تمتلىء بنماذج كثيرة تشبه الخروب (قسطار خشب على درهم سكر). ومع ذلك فهي لا «تسهّل» الاستغناء عنه، وتفهم جيداً مقوله «السعادة مثل القُبلة، لا يمكن الحصول عليها منفرداً».

المرأة صاحبة حسن الحيلة، مثل السادات. يروي السفير الروسي في مصر وقت جنازة عبد الناصر، أنه بينما يسير في الموكب المتوجه إلى المدفن، لمح موكيتاًقادماً في الاتجاه المضاد، وكانوا يحملون شخصاً فوق كرسي وقد تدلّى رأسه وراحت ساقاه تتأرجحان، واكتشفوا أنه السادات، وأن حالته النفسية سيئة، وأنه مقيد في المستشفى. وبعد انتهاء الدفن توجّه السفير لزيارتة، ووجده يقيم في الغرفة نفسها مع علي صبري، وكلاهما يتاؤه. وفسر الأطباء حالتهم بالضغط العصبي. وبعد فترة خمن السفير الروسي من نظرة شاملة إلى كل ما يحدث، أن السادات ذهبت به الظنون، بعد أن سمع بمرض علي صبري منافسه المحتمل، واحتفائه في المستشفى، أن الرجل يدبر شيئاً ما بحيث يصبح هو الرئيس وليس السادات. فادعى المرض بقدراته التمثيلية، وأسرع ليكون

بجوار صبري حتى لا يغيب عن ناظريه، ويصبح على مقربة منه إذا كان يخطط لشيء.

المرأة التي تحترم كبراء الرجل، وتتفادى معاملته بالمنطق الذي كان يتعامل به الباشوات مع الفلاحين قبل الثورة، منطق «الفلاح لا يشتد جلد إلا بجلده»، وتجيد انتقاء ما ت تعرض عليه، لأنه يعبر عن حقيقة شخصيتها، فلا تصبح مثل بعض مشايخ الأزهر الذين احتجوا على الرقابة لسماحها بمشاهد في فيلم «الوردة البيضاء» يُقبل فيه محمد عبد الوهاب البطلة وهو يرتدي الطربوش، وذلك لأن الطربوش شعار مصر القومي (بصرف النظر عن كون تقبيل الواحد لحبيبه بالطربوش أقرب إلى سمير غانم من عبد الوهاب). وتجيد انتقاء من تستعين برأيهم ومشورتهم، مثلما كان عبد الحليم حافظ يذهب إلى مكتب محمد حسين هيكل<sup>(٢)</sup>، ويقوم معه بجلسات عمل قبل تقديم بعض الأغانيات الوطنية، الأمر الذي جعل البعض يقولون إن صوت حليم كان وزارة إعلام عبد الناصر.

تفاصيل صغيرة - ولا أعرف إن كان الخبر القادر جيداً أم سيئاً - ستجعل الزوج يتمسك بكِ مهما كانت الضغوط، مثلما تمسك الملك فاروق بزوجته الثانية ناريمان، واعتراض

السفير البريطاني على الزوجة قائلاً إنها وفقاً للاصطلاح المصري «بلدي» ولا تليق بملك، وأرسل باسم بريطانيا هدية زواج إلى الملك تُعبر عن تقديرهم لهذا النسب، عبارة عن علبة سجائير فضية عادية، في وقت كانت السفارات الأخرى ترسل الألماضات والتحف مهنتها بالزيجة. إلا أن فاروق لم يهتم، واحتفى بناريeman (التي سرقها من خطيبها)<sup>(٣)</sup>، وأقام لها فرحاً تكلّف أكثر من ٧٠ ألف جنيه، وحضر معها لحظات الولادة مرتدياً الماسك داخل غرفة العمليات، ثم أنعم على الطبيب بالباشوية بعد أن جاء على يديه ولي العهد. فرح فاروق بناريeman ونجلهما، وأقاما له «سبوع»<sup>(٤)</sup> باشوالي، واستقرت حياتهما، وعاش معها سعيداً حتى جاءت اللحظة التي استلم فيها خطاب محمد نجيب.

#### هامش ١

كان خطاب محمد نجيب الأول للملك. أما الثاني فكان للشعب كله، وقال فيه نجيب: «يسر القائد العام أن يناشد الشعب أن يوازن على ضبط أعصابه وكياسة تصرفاته، فلا يشتط في فرحته، ولا يثور في غضبه، فيشوه الجهد المضني

الذي قام به الجيش مخلصاً لوجه الله والوطن. انتهت الحفلات والمهرجانات، واليوم يوم عمل». وتكررت إذاعة الخطاب كل ساعة، وكان واضحاً أن نجيب يطلب من المصريين بالأدب أن «كله على بيته».

## هامش ٢

يقول أستاذنا أحمد بهاء الدين إنه لكي تفهم شخصية عبد الناصر فعليك أن تفهم أولاً علاقته بالسادات وهيكل. كان ناصر الشاهد الأول على عقد زواج هيكل، وكان الثاني علي أمين. وعندما قرر ناصر تعيين هيكل وزيراً للإعلام، شعر هيكل بالقلق لأنه كان يتوقع أن يزيحه ناصر عن «الأهرام»، لأنه لا يُفضل أن يشغل أحد منصبين. وذهب هيكل غاضباً إلى الكاتب لطفي الخولي في بيته، وأخذ يشكوه من ناصر واحتمالات الغدر القائمة وقراراته العشوائية. وكعادة الوقت، وصلت إلى ناصر تفاصيل الجلسة كاملة، وأغضبها بشدة كل ما قاله هيكل، لكنه لم يؤذه، واكتفى بإصدار قرار بالقبض على لطفي الخولي.

## هامش ٣

قصة خطف الملك فاروق لناريeman من خطيبها، تبدأ من

محل جواهرجي، أسرّ له الملك - كصديق - بمواصفات العروس التي يبحث عنها بعد طلاق زوجته الأولى: صغيرة السن، بلا أخ أو أخت، وملامح أقرب لواحدة يعرفها الجواهرجي كان يحبها فاروق لكنها طفت من البلد بسببه. وذات يوم دخلت ناريمان محل الجواهرجي مع خطيبها لشراء خاتم الزواج، ووجد فيها الجواهرجي كل المواصفات التي يبحث عنها فاروق، فطلب منها العودة في اليوم التالي ليعرض عليها بضاعة جديدة. وفي اليوم التالي هيأ الجواهرجي لفاروق مكاناً يراقب منه ناريمان. وبعد دقائق قليلة كان فاروق قد اتخاذ قراره. ولا تذكر كتب التاريخ ماذا كان مصير خطيب ناريمان، لكنه اختفى من الصورة، ويدو أنه تعرض لما جعل هذا الزواج لعنة على فاروق وناريمان. وبقي الجواهرجي يعرفه الناس ببضاعته الراقية وأخلاقه الواطية.

#### هامش ٤

«السبوع»، هو الظاهرة الوحيدة التي لم يستطع علماء الحملة الفرنسية توصيفها في كتابهم «وصف مصر». تأملوها كثيراً، ثم اكتفوا بسطرين قالوا فيما إن احتفال السبوع «عبارة عن نزهة تقوم بها السيدات بين كل غرف المنزل». ومن الأشياء التي أثارت دهشتهم، تغيير صيغة الأذان كل فترة، حيث كان الفرنسيون قد منعوا الدعوة إلى اجتماعات

عامة، وفَكَرَّ المُصْرِيُونَ فِي طَرِيقَةٍ يَجْمِعُونَ بِهَا النَّاسَ، فَعَثَرُوا  
عَلَيْهَا عِنْدَ الْمُؤْذِنِينَ الَّذِينَ أَصْبَحُوا يَعْلَمُونَ عَنْ مَوْعِدٍ وَمَكَانٍ  
اللَّقَاءِ دَاخِلَّ الْأَذَانِ نَفْسِهِ، بِطَرِيقَةٍ «حَيْ عَلَى الصَّلَاةِ السَّاعَةِ»،  
«حَيْ عَلَى الْفَلَاحِ فِي الْمَكَانِ الْفَلَانِي».

## متى ظهر أول مُخبر في مصر؟

في بداية الثمانينيات تبنّى هاني شنودة صوتين جديدين: شاب قادم من أسوان اسمه «محمد منير»، وشاب قادم من بورسعيد اسمه «عمرو دياب». قدّم الأول إلى شعراء كبار ليتقوا له من أعمالهم ما يميزه عن غيره.. أما الثاني فقد بذل معه مجهدًا ليخلصه من اللهجة البورسعيدية، ولم يجد طريقة أفضل من أن يعقد جلسات تمرин للشباب البورسعيدي على يد واحد من مقرئي القرآن الكريم، وكان صوتهما أثناء الجلسات عالياً، حتى إن جيران هاني شنودة بدأوا يهتئونه على دخوله في الإسلام.

سألت شنودة عن سر اختياره لهذين الصوتين من بين عشرات كانوا يبحثون عن بداية من عنده وقتها. كان السؤال على وجه أكثر دقة: كيف اختار الاثنين اللذين أصبحا بعد أربعين عاماً «هم اللي حيلتنا» واللذين نفخر بهما؟

قال شنودة: «بخلاف لمعة الطموح في عيون منير ودياب، جاء كل واحد منهما ووقف أمام بابي بعد أن حرق جميع مراكب العودة إلى الخلف، جاء كل واحد منهم لينجح فقط، ولم يكن في حساباته أي احتمالات أخرى. استسالما للتجربة، والخطأ، والفشل، والعودة من الجديد، وترجمة كل إحباط إلى خبرة تنفع لخطوة قادمة. لم يضع أحد منهما في باله إجابة عن سؤال «لو فشلت ها عمل إيه؟»، لأن الفشل لم يكن مطروحاً من أصله».

سألته: «هل الموضوع بهذه البساطة؟». قال: «يُصبح النجاح سهلاً عندما تُقرّر بينك وبين نفسك أنك لا تمتلك خياراً غيره. ساعتها تتحول الحسبة التي يراها الناس معقدة، إلى حسبة في بساطة «شاف القطة، قالها بسبس، قالتله نونو»».

يتمنى الواحد لو أن كل شيء في الحياة في بساطة «شاف القطة، قالها بسبس، قالتله نونو». معجزة هذه الأغنية أنها بلا آلية إيقاع واحدة. الأغانيات القديمة عمرها أطول لأن صناعها تركوا بداخلها ما يستحق التأمل، رغبة في أن يشاركهم الناس الدهشة. وهذه ليست دعوة لمقاطعة الجديد، الشائع هو التخلص من القديم. زفة الأفراح التي

تقوم على صفين متقابلين يحملان السيف ليست صدفة، هي رسالة أن العروسين «قطعاً» علاقتهما بالماضي، وهي غالباً فكرة ابتدعتها «نفيسة الفكهانية» أول راقصة منظمة تؤسس فرقة محترفة لها شكل وراقصات، وكانت تحبي ليالي الكبار في عهد محمد علي. تزامن ظهور أول راقصة محترفة مع ظهور أول مخبر (شرطة سرية) في مصر «أحمد أغا». كان أغارة رئيس جهاز المخبرين السريين. كان الرئيس، ونشر رجاله في كل مكان، وكانوا مزعجين، واشتكتى منهم الناس كثيراً، ليؤسسوا بهذا الأداء طريقة عمل المخبرين حتى يومنا. س يوسف الزفة التي ترمز لقطع العلاقات السابقة قد تكون مشتعلة أحياناً، ذلك لأن هناك علاقات عايزه الحرق.

مثل علاقة الجنرال «مينو» الفرنسي الذي أسلم - بعد أن أعفاه المشايخ من الختان - ليتزوج زبيدة ابنة رشيد، وتفاني في تدليها، لدرجة جعلت المصريات يتقدمن بشكاوى إلى رئيسه «بونابرت» ليرغم الأزواج على معاملة نسائهم بالطريقة نفسها. كان يطعمها بيده، ويرفع لها عن الأرض منديلها إذا وقع. كان مغرماً، وإن كان يشكوا لصديق في رسالة قائلًا: «لن أُكرر الزواج على الرغم من أنه حقي الشرعي، لأن للمسلمات شهوة

عنيفة». ثم رحلا معاً مع انتهاء الاحتلال الفرنسي. بعدها زار رفاعة الطهطاوي بباريس، والتقي عجوزاً شهدت نهاية المأساة، وحكت لرفاعة الطهطاوي كيف تحلل «مينو» من إسلامه، وعمد ابنه على الرغم من معارضته الزوجة، وكيف ضغط «مينو» حتى تنصرت زبيدة نفسها أصلاً، ثم هجرها إلى إيطاليا في رفقة الراقصات، وتركها تموت مهجورة تعاني العوز.

بدأ «مينو» عاشقاً بالثلث (وهو نوع الخط المعتمد للأوراق الرسمية في مصر الخديوية)، وانتهى بهيئه «أبو رجل مسلوحة» (وهو نصف إنسان، ونصف حمار، وله ديل وساقان مسلوختان).

فشلت زبيدة في أن تحوط على زوجها، ولم تتعلم من «دلوكا» التي حوطت بلد بحاله. وهي حكاية روتها المقريزي، ولكن هناك إصرار على كونها أسطورة: بعد غرق فرعون وجيشه، لم يبق في مصر غير النساء والعيid والأطفال. اختارت النساء إسناد الحكم إلى امرأة عمرها مائة وستون عاماً وتتمتع بالحكمة، اسمها «دلوكا بنت زبا». وكان أول قرار لها هو بناء سور يحيط بمصر من أسوان إلى العريش، ليحمي البلد من الغزاة، خصوصاً أنها بلا جيش، وأحاطت السور بخنادق مائية، وعيّنت

حراساً لقرع الأجراس عند وجود خطر. وقال أحد المؤرخين العرب قديماً: «لو بُني سور بين المصريين والعالم لاستغنو عنه إلا للحج إلى مكة». المهم، لم يعثر أحد فيما بعد على أي أثر للسور، كما لم يُعثر على اسم «دلوكا» في تاريخ الفراعنة بعد فك طلاسم حجر رشيد، وإن عثروا على ما يقول إن المصريين القدماء كانوا يستقبلون أول الشتاء باحتفال يقوم على اللطم. وهي العادة التي تغيرت، فلم يعد المصريون يلطمون أول الشتاء، لكنهم يلطمون الآن أول رمضان، وأول المدارس، وأول المصيف، وأول العيد، إلخ.

لا يستطيع الواحد أن يلوم زبيدة. يقول الخواجة إن النساء يملن إلى الوقوع في غرام الرجل «الواطي» بالفطرة. والرجال عموماً يصعب عليهم، لخطأ تقني، أن ينهوا العلاقات بسلام. عندما طلق فاروق زوجته الأولى فريدة (اسمها الأصلي «صافيناز»)، لكن الملك أعطاها اسمًا يبدأ بحرف «الفاء» المقدس عند العائلة المالكة. وهي قاعدة عندما كسرت ودخلت إلى العائلة الملكة نازلي زوجة فؤاد، انتهت الأمور بفضيحة مع سمعة أن الملكة تعيش حياتها «على كيفها». وهو ما يقول البعض إنه بدأ عندما لاحظت الملكة يوماً أن إحدى وصيفاتها قد انتفخ بطنها،

وكانت الوصيفة قد ترملت في شبابها، لهذا كانت الوحيدة التي تعيش بالقرب من غرفة صاحبِي الجلالَة، وقد ميّزت الملكة سبب هذا الانتفاخ بسهولة، ليبقى السؤال: هل كان سيتغير تاريخ مصر لو أن هذا المولود تولّ الحكم بدلاً من فاروق؟ كيف كانت ستسير الأمور تحت قيادة شخص «ابن حرام»؟). المهم، عند طلاق فريدة استدعاها الملك شيخ الأزهر المراغي، وطلب منه فتوى بأنه لا يجوز لفريدة أن تتزوج رجلاً آخر، فرفض المراغي، فقال له فاروق سأبحث عن شيخ آخر، فقال له المراغي اعتبرني مستقيلاً. كانت الفتوى مستحيلة، فاستبدل بها فاروق أن رشح نفسه لفريدة خمسة عرسان، اختارت منهم واحداً أسعد فاروق أنه صديق له. كانت فريدة محبوبة لأنها على الرغم من كونها بنت ذوات، فإن اختلاطها في المدرسة طفلة مع أبناء الشعب رسّب في نفسها التواضع، وكانت الوحيدة في القصر التي تنادي الوصيفات بـ«أبلة»، وتسربت محبة العاملين في القصر لها إلى الشارع، لذلك عندما وقع الطلاق هتف الشعب وقتها: «خرجت الطهارة من بيت الدعارة»<sup>(١)</sup>.

سُمعة «بيت الدعارة» التي طالت القصر الملكي، جعلت اللواء محمد نجيب يظهر في أول صورة رسمية

له وهو يفترش حصيرة فوق السجاد الفاخر، ويؤدي الصلاة في أحد صالونات قصر عابدين عندما دخله للمرة الأولى.

كان فاروق قد حاول أن يرمم سمعته التي جعلت الشعب في إحدى ثورات غضبه يهتف: «أين الغذاء والكساء يا ملك النساء». ولكن جاءت محاولة فاروق متأخرة جدًا، فقد نشرت جريدة «الأهرام» يوم ٢٢ يوليو ١٩٥٢ خبرًا يقول: «عقدت اللجنة التي عهد إليها الإشراف على توزيع المصحف الشريف الذي تفضل جلالته الملك فاروق فأمر بطبعه وتوزيعه على المسلمين في مختلف الأقطار، اجتماعاً في الأزهر الشريف برئاسة فضيلة الشيخ عبد الرحمن حسين وكيل الأزهر، وببحث الأسس التي سيتم بناء عليها توزيع المصحف الشريف في كل أنحاء العالم».

في هذا اليوم أيضًا، وهو بالمناسبة آخر يوم عاشته مصر في «الملكية»، أو بمعنى أدق: آخر يوم لحكم الملك فاروق، كانت مصر تحتفل باكتشاف منطقة اسمها «العجمي»، وتقرر ضمها إلى كردون مدينة الإسكندرية مع توفير التمويل اللازم لإقامة مصيف جديد به كل المؤسسات والمنشآت اللاحزة، مع فكرة أن هذا المصيف

الجديد سيخفف الضغط على مصيف رأس البر الذي أصبح في حاجة شديدة إلى التطوير.

ونشرت الصحف تنبئاً على السيدات اللواتي سيسافرن لأداء مناسك الحج، وحسب المعروف عن بعض السيدات حبهن للسفر بمصواغاتهن، ونظرًا إلى أن تصدير المصواغات ممنوع، فقد ناشدت الداخلية عبر بيانها السيدات أنه «لا بد من تسجيل الذهب الذي ستسفر به الحاجة، ودفع مبلغ تأمين يعادل ثمن هذه المصواغات، والاحتفاظ بقسيمة المدفوعات الجمركية لاستعادة المبلغ بعد التأكد من عودة الحاجة بكل المصواغات».

وطمأنت الصحف المسافرين إلى الحج أن المصريين الموجودين في السعودية تحققوا من انتهاء حالات الإصابة بالطاعون التي انتشرت هناك مؤخرًا. والمصريون الموجودون هناك كانوا ينهون عملهم في تأسيس أول شبكة اتصال تليفوني سلكي وتلغراف في المملكة، وقد أصبحت المملكة بفضل عمل هؤلاء الرجال قادرة على الاتصال بالعالم الخارجي وبين مدنها وبعضها بعضاً.

وفي الوقت الذي احتفت فيه الصحف بإذاعة أولى

حلقات البرنامج الإذاعي «لغة الموسيقى»، الذي تُعده السيدة آمال فهمي، ويُقدّمه محمد عبد الوهاب، ويذاع كل يوم في التاسعة مساءً، كانت الصحف أيضًا تندب حظ مدن الصعيد التي وصلت إليها البليهارسيا، ولم يكن هذا متوقعاً، ففوجئ البليهارسيا لا تعيش إلا في المياه الراكدة، وهذا سبب انتشارها في الدلتا، لكن علمياً كان مستحيلًا أن تظهر في الصعيد مع جريان النيل المستمر، وخمن العلماء أنها وصلت إلى هناك في شباك الصيد التي اشتراها الصعايدة من الفلاحين.

مثلما ناشدت الصحف الناس أن يمنعوا قططهم وكلابهم من الخروج إلى الشوارع، لأن وزارة الزراعة أعلنت بداية عمل فرق خاصة عيّتها لقتل الكلاب والقطط الضالة التي انتشرت في شوارع القاهرة، في الوقت نفسه أعلنت عن بدء توزيع بطاقات التموين للمصطافين في الإسكندرية من مراقبة تموين الرمل، وعدها ثلاثة آلاف بطاقة ستخدم أكثر من خمسة عشر ألف شخص يقضون المصيف في الثغر مع تمنيات وزارة التموين لهم بإجازة سعيدة.

المهم، تعامل الملك فاروق مع مستقبل طليقته بذكورية بالغة، يقول الأكابر: «المرأة ليست ضعيفة، ولكنها

مستضعفه»، لأن الرجل بطبعه مغزور. حتى إنه أيام محمد علي كان العقاب الأمثل للتاجر الغشاش هو «كسر نفسه»، فكانوا يركبونه جملًا ويضعون في يده جرسًا يجلجل به، وهو يطوف في البلد ويصيح: «لقد غششت، لعنة الله على الكاذبين». ولكن غرور الرجل مفید لأنه كان مفتاح الاستكشافات والاختراعات التي حدثت منذ بداية البشرية، وهو أيضًا مصدر جاذبية، يمكن ملاحظتها بدأة من الزعيم أحمد عرابي<sup>(٢)</sup> الذي استلم رسالة من إحدى هوانم العائلة المالكة تعرض نفسها عليه كزوجة باعتباره منقذًا مصر، فرد عليها قائلًا: «الزمي بيتك، واهتمي بشؤونك»، أو في انهيار سعاد حسني أمام «تقل الواد حسين فهمي»، مروراً بأداء كاتب عظيم مثل «مارك توين» الذي كان في فراش الموت والنافذة مفتوحة آخر اليوم، فتأمل المشهد قائلًا: «شمسان تغربان في وقت واحد!».

---

#### هامش ١

بدأت أخلاق الملك فاروق تحول إلى سيرة علىأسنة الناس بعد حادث فبراير، عندما حاصرت قوات الاحتلال

البريطاني قصره، وأرغمه على تنفيذ مطالب سياسية (التوقيع على قرار باستدعاء زعيم حزب الوفد مصطفى النحاس لتشكيل الحكومة بمفرده، أو أن يتنازل عن العرش). أصيب فاروق باكتئاب بعد هذه الواقعة، فتضامن الأمراء والأميرات معه، وتباروا في إقامة السهرات والحفلات الشاذة والماجنة للتخفيف عنه - على حد قول الملكة فريدة - وقاموا بعمل جدول لهذه الحفلات في قصر الأميرة شويكار، وفي حلوان، والمرج، وأنشاص، وتباروا في كل ما هو جديد ومثير. وتقول فريدة إن هذه الحفلات كانت بداية سقوط الملك، بل سقوط أسرة محمد علي التي عصف بها التفكك والانحلال.

## هامش ٢

لم يشر زعيم الجدل بسبب زيجاته مثلما فعل الزعيم أحمد عرابي. بدأ بابنته خالته وأنجب محمد، ثم طلقها لأنها تسببت بإهمالها في أن يفقد طفله البصر. ثم تزوج شقيقة طباخ من قلعة الكبش وطلقها. ثم تزوج «صديقه» ابنة مرضعة أبناء الخديو عباس، وأنجبت له أربع بنات. ثم تزوج زينب هانم التي اصطحبها معه إلى المنفى، واصطحب أيضاً محمد ابنه وجاريتين (فرح وزعفران). تزوج زعفران، ثم طلقها لأنها أدمت مضغ التبغ في المنفى. ثم تزوج فرح التي كانت لا ترتدي إلا ملابس الرجال، وطلقها بعد العودة من المنفى. ثم أعاد

«صديقة» إلى عصمته. بخلاف إحدى هوانم العائلة المالكة التي طاردت عرابي بالرسائل، كانت هناك من بين نساء الجالية الأجنبية في مصر من يحضرن جلسات محاكمته ويُعلنَ تأييدهن له وينتظرن منه نظرة رضا.

## ماذا كان يقصد فؤاد حداد بـ«الوز الأخضر» الذي كان يصلّي على «القنايا من سينا»؟

كنا شلة ذات مكانة مرموقة في المدرسة الإعدادية، لا لموهبة، ولكن لأن الأستاذ عماد مدرس الألعاب افتتح كشكًا لبيع أشرطة الكاسيت المقلدة. كان في البداية يشتريها من القاهرة، ثم قرر أن يُسجّلها ويطبعها بنفسه، ووضع على الأشرطة ملصقاً باسم شركة التسجيلات التي أنشأها: «شركة تسجيلات المدينة المنورة».

كان الأستاذ عماد يعتمد على شلتنا الثلاثية في استعارة أشرطة الكاسيت الأصلية التي كان أهالينا يشترونها لنا، ليقوم بنسخها، مقابل ذلك كان الأستاذ عماد يطلق علينا لقب «الفنانين»، ومنحنا امتيازات تافهة، مثل تشكيل فريق الفصل و اختيار اللاعبين.

كان فريد زميلنا في الفصل زعيم عصابة مراهقاً، أزعجه

أننا استبعدناه من اللعب، فزقنا بعد المدرسة مع أفراد عصابته. كان تافهاً لدرجة أنه لم يعرف ما الذي يجب أن يفعله بعد أن استسلمنا له. اختار أضعفنا (الحسن) وطلب منه أن «غنّ». أثار طلبه دهشتنا. «مش إنتو فنانين.. غنّي.. وإنتم هتغنو معااه». ثم أمسك الحسن من أذنيه ورفعه عن الأرض مكرراً طلبه: «غنّ». فبدأ الحسن يقول بصوت مرتعش: «تعالى نلضم أسامينا». أنقذنا ظهور وكيل المدرسة قادماً من بعيد. هرب أفراد العصابة، وبدأ الحسن يبكي، والوكيل يحاول أن يفهم ما الذي يحدث. دون جدوى - حيث كنت أنا وصديقي الثالث غارقين في الضحك، لأن الحسن على الرغم من بكائه وانتهاء الخطر، ظل تحت وطأة الخوف الذي اختبره، مستمراً في الغناء لا إرادياً، وغير قادر على التوقف.

لسنوات بعد هذه الواقعة، كلما هممنا بحكيها لشخص غريب في وجود الحسن، كان يقاطعنا ويُصر على أن يحكيها هو شخصياً، وكان يؤكد أن الخوف لم يتسلل إلى قلبه بسبب مقاسات أفراد هذه العصابة التي لا تناسب مع حقيقة أعمارهم، كان يقول إنه خاف عندما لاحظ أن أحدهم يتحدث إليه بمتنهى الثقة بينما يتدلّى من فتحة أنفه خيط مخاط أخضر لا يشعر به ولا يؤرقه بخصوص

مظهره. يقول الحَسْن: «أنت أمام شخص «مستبيع»، وهو أخطر شخص يمكن أن تخوض معه في أي إشكالية من أي نوع». ثم فَسَّر اختياره لـ«أغنية» «تعالى نلضم أسامينا» بأنه في عقله الباطن كان يستنجد بأهل المدن التي رَصَّها الشاعر فؤاد حداد في الأغنية.

لم يكن فؤاد حداد يقصد مجرد رص للمدن في «تعالى نلضم أسامينا». كان يسأل: هل تعرف شيئاً عن هذه الكواكب؟ زرت كم واحدة؟ هل تعرف من هو «الوز الأخضر» الذي كان يصلّي على «القنايا من سينا»؟ قيمة الفن موجودة في ما لا يُقال لك مباشرة، وتأثير الفن أكثر تعقيداً مما يتخيّل أحد. لو عرف كل فنان أثر ما يقدمه لمات رعباً، أو لتعامل مع الموضوع بجدية أكبر. يقول «برنارد شو»: «العاقل يتكيّف مع العالم، والفنان يجعل العالم يتكيّف معه».

عندما اعتصم فناني مصر في ثمانينيات انتخابات النقابة، جرى تكليف مخبري المباحث بمراقبتهم، وجاء في تقرير أحد هم: «في تمام الساعة كذا دخل قناوي وحورية وجلسا لنصف ساعة مع سمارة». وبعد استخدام كل معاجم فك الشفرات اتضح أن المخبر يقصد يوسف شاهين في «باب الحديد»، وفردوس

عبد الحميد في مسلسل «عصفور النار»، وتحية كاريوكا.  
هو يُصدق أنها شخصيات من لحم ودم، من فرط تغلغل  
تأثيرها فيه.

عندك «الأسطى حميدة» مجرد عالمة أُفراح، أو هكذا  
يراهـا العامة، يقول توفيق الحكيم إنـها - بأغنيـاتـها وصـوـتها  
الـسـجـي وـعـزـفـهـا - كانتـ أولـ منـ لـفـتـ نـظـرـهـ لـلـفـنـ، وأـثـارـتـ  
اهتمامـهـ فـبـدـأـ الطـرـيقـ.

وكانت فرنسا تبحث عن مدخل تفتت به المصريين أثناء عدوان ١٩٥٦، ولم تجد غير الفن، فبدأت تخاطب عبر الإذاعات الموجهة أقباط مصر قائلة إن الحكومة لا تعترف بهم لأن النشيد الوطني والرسمي للمعركة يبدأ «الله أكبر». كان عبد الناصر بعد النكسة يحب أغنية «عدى النهار»<sup>(١)</sup>، وعندما تغيب قليلاً يتصل برئيس الإذاعة يسأله الغنةفين. كانت بالنسبة إليه أفضل ما يمكن أن يرفع اليأس عن الناس: وفي زيارته لدولة عربية صافحة مواطن، وطلب منه: «سلملي على إسماعيل يس»، بعدها كان ناصر - الذي اعتاد مشاهدة الأفلام في قاعة منزلية - موجوداً في افتتاح فيلم «إسماعيل يس في البوليس الحربي»، يتأمل صاحب الأثر العابر للحدود وهو يصرخ «يا دهوتى» (و«الدهو» هو العقل، و«يا دهوتى» استغاثة به ليتعامل مع المصيبة).

يُنهي كل صاحب مهنة عمله بسؤال يشبه الهدف مما يقدمه، فيسألك المحاسب: «مضبوط؟»، ويسألك الطبيب: «أحسن؟»، ويسألك وكيل النيابة: «هل لديك أقوال أخرى؟». وحده الفنان الذي يسألك عندما يُنهي عمله: «اتبسطت؟».

المطرب العالمي ذو الأصول المصرية «ديميس روسوس» (ابن الممثلة نيللي مظلوم بطلة العصابة في «ابن حميدو»)، كان على متن طائرة ركاب أمريكية اختطفت عام ١٩٨٥، وعلم المختطفون بوجوده، وعرفوا أنه في طريقه لقضاء عيد ميلاده مع أسرته في اليونان، فأقام المختطفون له احتفالاً بعيد ميلاده على متن الطائرة مع بقية المختطفين. كسرت المحبة تحفز المختطفين فسهل استسلامهم.

وكان فيلم «شيء من الخوف» على وشك المنع، لكن ناصر تدخل شخصياً وسمح بعرضه بعد أن عرف أن متجر الفيلم أنشأ «هاويساً» لأهل القرية التي صُور الفيلم بها، وكان الهاويس هو شرط عمدة القرية للتتصوير ومشاركة الفلاحين في التصوير. كان الهاويس الذي فتحته شادية لـ«بيل ريق» الأرض العطشانية حقيقياً، فالتف الناس حولها بصدق وبدون تمثيل.

وفي عام ١٩٨١، بينما الرئيس السادات مشغول في لم

المعارضين من كل الاتجاهات وكتاب الرأي والصحفين والمثقفين، ومتوتر، و«خايف ليكون نسي حد»، لإيداعهم جميعاً في السجون بقرارات سبتمبر الشهيرة، وصل في الوقت نفسه إلى مصر المطرب العالمي «خولييو إجلسياس» لإقامة ثلاث حفلات في مصر، فترك السادات «كل اللي في إيديه» واستقبل المطرب الروماني بنفسه في بيته، وأظهرت الصور الجلسة التي تجمعهما مع جيهان السادات. باللغة الإسبانية عن قصة إعجاب متبادل بين خولييو وابنة الرئيس.

وفي الثلاثينيات ثارت مصانع الملابس الداخلية على الممثل الأمريكي «كلارك جيبل»، لأنه ظهر في أحد أفلامه بدون فانلة داخلية على عكس الشائع، فصار «القميص على اللحم» موضة، وكانت خسائرهم فادحة.

وعند وفاة أم كلثوم ارتبك الجميع، ولم تعرف الدولة كيف يمكنها أن تُعبّر عن حزنها. فخرج يوسف السباعي وزير الثقافة على الشاشة ينعي الفقيدة. وافتتح مجلس الشعب، للمرة الأولى في تاريخه، جلسته بدقة حداد على روحها. واستجابت الدولة لطلب الأمير عبد الله الفيصل بتأجيل الغسل حتى يرسل من السعودية كمية من ماء زمزم تكفي للمهمة.

وكان حليم ضيف الإذاعة في المغرب عندما وقع انقلاب على الملك، وهجم المنقلبون على الراديو، وطلبوه من حليم أن يُذيع بيان الثورة للأمة العربية، واعتبروها فرصة ذهبية ستقرب المسافات، لكنه بذكائه، كفلاح مصري، راوغ وظل حبيساً حتى وصل جنود الملك بعد فترة.

قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية، لاحظت المخابرات الإنجليزية أن هناك أشخاصاً يُشتبه في أنهم عملاء للجيش الألماني، يقومون بجمع كل ما يصادفونه من أسطوانات أم كلثوم وعبد الوهاب من أسواق القاهرة والقدس وبيروت ودمشق، وخرموا أن الألمان يستعدون للحرب بمخاطبة المصريين عبر الإذاعات، وليس هناك وسيلة لجر أرجل المستمعين سوى بإذاعة أغانيات هذين الشخصين. بناءً عليه كان جزء من خطة الإنجليز في حالة انتصار الألمان واضطرار الإنجليز للخروج من مصر، هو اختطاف أم كلثوم وعبد الوهاب، وتهريبهما إلى خارج البلد، لاستخدامهما في استعادة التواصل مع المصريين من خلال الإذاعات الموجهة.

و«الوز الأخضر» الذي كان يقصده فؤاد حداد هم جنود الصاعقة الذين كانوا يرتدون الأخضر المموه في حرب الاستنزاف<sup>(٢)</sup> وفي حرب أكتوبر، وشبههم بالوز

لأنهم كانوا أصحاب رقاب طويلة وعفية، أطالت فيما  
بعد رقابنا جميعاً.

---

### هامش ١

كان عبد الحليم متربداً في تقديم أغنية «عدى النهار»، وقال إنه غناها بعد أن رأى نفسه في الحلم ثلاث مرات يُغنىها وهو محمول فوق أعناق الناس مرتدياً جلباباً أبيض والناس يطوفون به في ميدان التحرير. قال إن هذا لم يحدث له مع أي أغنية من قبل، منذ ظهوره الأول الذي سأله فيه عن المطرب الذي يحب أن يكون مكانه مستقبلاً، فقال: «عبد العزيز محمود». (الأغنية كلمات الأبنودي، وألحان بلية حمدي، وتوزيع عبد الحليم نويرة، وقدّمت للمرة الأولى في ٢٢ يوليو ١٩٦٧).

### هامش ٢

نظرة محدودة التي تتوقف عند أكتوبر، ولا ترى معجزات حرب الاستنزاف.

من يقلب أوراق التاريخ سيعرف أن النكسة كانت مسألة أيام قليلة، نتجت عن قيادات ليست لديها فكرة لا عن الحرب ولا عن الانسحاب، ثم حدث أن أزيحت هذه القيادات، وبعدها

بأيام عاد الجندي المصري إلى موقعه ليبدأ رحلة الانتصار العظيمة التي استغرقت ست سنوات، شهدت بطولات إذا ما قُورنت بنصر أكتوبر فستعرف أن الأخير على عظمته كان أقلها شأنًا، إذا وضعت في حساباتك أن رحلة الانتصار التي بدأت عقب النكسة بأيام كانت بجيش فقد أكثر من ٨٠٪ من معداته بخلاف خسائر الأرواح.

بعد أيام من النكسة حدثت معركة «رأس العش» الشهيرة، حيث تقدمت مدرعات إسرائيلية لاحتلال بورفؤاد، لتجهز على ما تبقى من معنويات المصريين، لكن فصيلة صاعقة من ثلاثة جندياً يحملون أسلحة خفيفة كسبوا المعركة معنوياً وحربياً بدرجة جعلت إسرائيل تتوقف عن التمادي في استعراض قوتها. بعدها بأشهر قليلة أغرقت المدمرة إيلات بصاروخين بحررين انطلقاً من زوارق في بور سعيد، وكانت الصدمة قوية، وكان هذا أول استخدام للصواريخ البحرية في التاريخ ترتب عليه إعادة النظر في استراتيجية الحروب البحرية. ثم سقط جهاز المخابرات المصري القديم، وبدأت التحقيقات العلنية في قضية انحرافه، وكذلك التحقيق مع وزير حربية النكسة وقادة الطيران. وعندما حصلوا على أحكام هزلية، خرج الشعب الذي سبق له أن قال لناصر لا تتنحّ مُعقّباً على نتيجة المحاكمات بهتاف: «ولا صدقى ولا الغول عبد الناصر هو المسؤول». الشعب أيضاً تجاوز المحنة العمياء، وخرج يرش الزعيم بالماء البارد ليُفوق. فاق الزعيم وغيره قياداته، وأطلق ميثاق ٣٠ مارس

المصحح لارتكابات الدولة. ثم بدأت حرباً مرحلة «الدفاع النشط»، وهي طريقة حرب تنقل مصر من الدفاع إلى الهجوم بالتدريج، اعتماداً على المدفعية الثقيلة التي دكَّت الأهداف الإسرائيليَّة بشكل أثمار جنون إسرائيل، ودفع القيادة لتهجير أهل القناة حماية لأرواح المدنيين في تلك المعركة المشتعلة التي جعلت «ديان» يصرخ قائلاً: «سأجعل منطقة القناة مقبرة مصرية». وعندما فشل، قرر أن يضرب العمق المصري انتقاماً، فأغار على أحد مصانع نجع حمادي.

كانت قوات «الكوماندوز» تتسلل يومياً بالعبور إلى الضفة الشرقية وتدمير معسكر للعدو، إلى أن تم العبور الأول المنظم قبل أكتوبر بأربع سنوات عند لسان التمساح بالإسماعيلية، ذهب الجنود، وعادوا كاملي العدد، يحملون علم الموقع الإسرائيلي الذي ساوهه بالتراب. هنا لجأت إسرائيل إلى مجلس الأمن للمرة الأولى في أبريل ١٩٦٩ ليضغط على مصر لوقف القتال في منطقة القناة. في هذه اللحظة كان ناصر يقول في خطاب عيد العمال في حلوان: «تم تدمير ٦٠٪ من تحصينات العدو في خط بارليف، ولن نسمح أن يتحول خط النار إلى خط ثابت تقف عليه إسرائيل مستريحَة». بعدها بأيام، حاولت إسرائيل عبور القناة إلى الضفة الغربية، فأغرقت زوارقهم، وأعلنت مصر الخبر، فنفت إسرائيل بقوة، فطلبت مصر من هيئة الصليب الأحمر أن تسلُّم رسمياً جثة أحد قادة الزوارق الإسرائيليَّة.

كان العبور إلى ما خلف نقاط العدو أمراً شبه يومي لدرجة مربكة، بحرىًّا بعملية «إيلات» الشهيرة، وبرىًّا بمئات المعسكرات التي دُمرت. أما المدفعية، فلم تترك لإسرائيل نصف فرصة لإعادة ترميم خسائر خط بارليف بتحصيناته ومنصات صواريخته وراداراته. عند هذه النقطة فقدت إسرائيل أعصابها، فبدأت في قصف أهداف من نوعية مدرسة «بحر البقر».

كان كل هذا يحدث في وقت بلغ فيه ضعف الموارد أن أصبحت الصحف المصرية تصدر في أربع صفحات فقط. وبينما ناصر يحارب للحصول على دعم السوفيت في مجال التسليح، نجحت مفاوضاته نسبيًّا لدرجة أن إسرائيل بترت عدة هزائم متلاحقة في الشهور الأخيرة بأن طيارين سوفيت شاركوا في الدفاع عن عمق مصر. ولو لا أن مصر كانت صاحبة الكفة الأرجع في هذه الأيام، ما طرحت أمريكا مبادرة «روجرز» لوقف إطلاق النار لثلاثة أشهر. كانت مصر متفوقة، وكانت أمريكا تريد لصديقتها أن تلتقط أنفاسها. وقبل ناصر المبادرة لاستكمال بناء حائط الصواريخت أرض جو، الحائط الذي كان المفتاح الأهم على الإطلاق في انتصار أكتوبر.

الحكايات التي تقول إن النكسة كانت مجرد كبوة لجود أصيل، لا تنتهي، وهي بعرض ست سنوات لم تخلُ من انكسارات من نوعية رحيل ناصر المفاجئ، وتخلي الأصدقاء، وضعف الحالة الاقتصادية.

الموضوع أكبر من ٦ أكتوبر، وأن الجيش المصري  
ربما تعثر في الطريق، لكنه لم ينهزم، كان وصف النكسة هو  
الأصدق، إذ إن الجنود الذين خرجموا من سيناء في ٥ يونيو  
سيراً على الأقدام، هم أنفسهم الذين كانوا يعودون إليها في  
اليوم مرّة واثنتين على مدار ست سنوات.

## من الصق بالدمايطة صفة البخل؟

شعر الكاتب الكبير مصطفى أمين بالتعب، فتوجه إلى المستشفى، وقرر الطبيب أن يحتجزه، وأدخله غرفة وطلب منه أن يستريح، وقال له مداعباً: «هل تعرف من كان ينام قبلك هنا وخرج بالأمس؟ فاتن حمام». فاشتعلت حاسة «الترافيك» عند مصطفى أمين -كعادة كثيرين الآن- وكان مقاله التالي بمانشيت كبير: «أكتب لكم من سرير فاتن حمام». وفي اليوم التالي هجمت عليه الفنانة الكبيرة منفعة لأنها -كعادة كثيرين الآن «ما بيفتحوش اللينك» - اكتفت بقراءة العنوان.

كانت عندي مشكلة في طفولتي مع الفنانة، فاسمها مذكر (فاتن)، بينما اسم الأب مؤنث (حمام)، وكان المنطقي بالنسبة لطفل أن يكون اسمها «حمام فاتن»، فتعطل تدفق موهبتها بالنسبة لي. ثم تجددت المشاكل

كبيراً، عندما قرأت حواراً تجري فيه سيدة الشاشة مقارنة بين ناصر والسداد، وتحتصر المقارنة بشكل مُخلٌّ لصالح السادات في «الفلوس»، قائلة إن «ناصر فقر الناس، بينما في عهد السادات كانت الناس بتلعب بالفلوس لعب».

وهو تصريح لم يشرح مصدر هذه الأموال التي كانوا يلعبون بها. بالضبط مثل الحكومة عندنا، تتحدث عن حجم الإيرادات في الموازنة لكنها لا تبين مصدرها، ربما خوفاً من الـ«أر». أَرَّ الشخص: مشى بطنه وتتابع (وهو التعريف الأدبي للإسهال)، أي أن الشخص الذي أَرَّ على شيء قام بالتخلص من فضلاته فوقه (زي اللي أَرُولنا على ٢٥ ينایر كده)، كلمة فصحى، بخلاف «قرفته حلوة» وهي عامة، وتعني حُسن الحظ، ومستقة من كبار المقرئين زمان عندما يشاركون في مأتم عزاء، ويطلبون قبل القراءة قرفة مغلية تجلي الصوت، وإذا شعشع المقرئ وتسلطن كان يفسر السلطنة بأن الميت كانت «قرفته حلوة».

يخاف حيوان النمر من القرفة ويهرب منها، مثلما كان كهنة مصر القديمة يخافون من «الفول» ويعتبرونه طعاماً نجسًا ويعنون دخوله المعبد، حسب «هيرودوت». يقول «هيرودوت» أيضاً إن «الكهنة وحدهم كانوا يحصلون على امتيازات التي يحصل عليها المحاربون، وكانت امتيازات

المحاربين مصدر تعجب الناس». يقول «هيرودوت»: «يوجب كل محارب اثنى عشر فداناً، وخمسة أرطال مجانية من الحنطة يومياً، لأنه يحمي المملكة».

لا يعرف الواحد لماذا يُقال عن الفول «مدمس». هناك رواية تقول: «دمس» الشيء بمعنى أخفاه تحت غيره، كما يخفي الواحد الفول في الدمامسة تحت الماء وملعقتَي العدس الأصفر. وهناك رواية أن أول مستوقد للتدميس كان مملوكاً لخواجة يوناني اسمه «ديموس»، فأصبح الفول على طريقة «ديموس»: «مدمس».

أنقذ الفول (السوداني وليس المدمسي) السوايسة أثناء حصار المائة يوم. الصهاينة يحاصرون المدينة بعد ضرب كل مخازن السلع التموينية، ما تبقى من دقيق كان يكفي لتسليم كل مواطن رغيفاً يوم السبت ورغيفاً يوم الثلاثاء، ندرة الغموس جعلت السوايسة يأكلون الخبز بالطريشي والبصل والفول السوداني.

لم يكن الخبز هو الأزمة الوحيدة التي تعامل معها السوايسة بمهارة ثبتت أقدام الجنود الذين عبروا إلى الضفة الشرقية قبل بداية الحصار بأيام.

في طريق الصهاينة إلى السويس، ضربوا مواسير المياه الرئيسية، فكان أول قرار للقيادات المدنية هو قطع المياه عن

المدينة طوال اليوم ما عدا ساعتين، من ٩ إلى ١١، مع التأكيد على تخزين ما يلزم للاستخدامات الأساسية فقط، ونزع ماء القناة لأي احتياجات أخرى، الاستحمام والتنظيف مثلاً.

ثم صدر قرار بصرف نصف لتر فقط يومياً لكل مصاب محتجز في المستشفى العام. وعندما اعتمد طاقم التمريض على ماء البحر في تنظيف الجرحى ظهرت مشكلة أن الماء المالح لا يصنع رغوة عند خلطه بالمطهرات والصابون الطبيعي، أو حتى لغسل ملابس وغيارات الجرحى. وبدأت أعراض الأمراض الجلدية تظهر على الجرحى، وسرى ذعر من فكرة انتشار وباء في المدينة. فتم نقل هؤلاء الأشخاص إلى مبني وأطلقوا عليه «مستشفى المجاديف»، لأن المصابين بالأمراض الجلدية كانت تصيبهم نوبات حك وهرش يجعل الشخص يبدو كأنه يجذف في مركب.

إلى أن حدثت المعجزة، وتوصّل بعضهم إلى فكرة تسخين ماء البحر إلى درجة الغليان، واستقبال البخار على مشمع بلاستيك، وتجميع الناتج الذي سيكون أقل ملوحة بدرجة تُفعّل المنظفات. نجحت التجربة، وتواتفت نساء المدينة على المستشفى في ورديات للغسيل والتجفيف.

واختار الشيخ حافظ سلامة مجموعة وعلّمها التيمم، ثم انطلقت المجموعة تُعلم بقية أهل المدينة المحاصرين.

ثم بدأ يظهر الجوع، وكان المخزون المتاح بعد حصره يسمح بخطة توزيع مرّة كل خمسة عشر يوماً، يحصل الفرد في كل مرّة على «علبة خضار، علبة سردين، باكو شاي، نصف كيلو سكر، علبة سمك مجفف»، مع احتمالات كبيرة ألا يكفي المخزون لمرّة ثانية. ولكن كل هذا لم يمنع أهل السويس عندما أعلن عن أن اليوم التالي هو عيد الفطر من خبز الكحك والبسكويت. سهرت سيدات المدينة يخبزن بالمتاح في أفران بلدية كميات تم توزيعها في اليوم التالي على الناس في رفقة حلة كبيرة تملئ بالشاي.

ثم ظهرت مشكلة الكيروسين الذي تحتاج إليه الأفران ومحطة الكهرباء التي تُغذي المدينة، وكان قرار الأهالي البحث عن مصدر آخر للوقود، فتم نزع فلنكات خطوط السكة الحديد، وقص أشجار بور توفيق الضخمة. وبقيت مهمة نقلها من أماكنها، فتم تكوين «مؤسسة عربات الكارو» بقرار من المحافظ، تكون مسؤولة عن نقل الأخشاب والتموين والمعدات والأسلحة، مع قرار بصرف اثنين كيلو تبن لكل حمار.

شالت السويس<sup>(١)</sup> المسؤلية، مثلما شالت بور سعيد مسؤولية العدوان الثلاثي، وختم البور سعيدية نضالهم بواقعة تذكرني بما جرى في إحدى مباريات دوري الدرجة

الثانية عندنا، عندما أخرج حَكْم المباراة للاعب الكارت الأحمر، فما كان من اللاعب إلا أن أخذ الكارت من يد الحَكْم وأكله. قبل رحيل آخر سفينة من سفن جنود العداون وضعوا في يدي تمثال «ديلسبس» الضخم علم إنجلترا في اليد اليمنى، وعلم فرنسا في اليد اليسرى، ثم دهنووا جسم التمثال كله بمادة بترولية لزجة تشبه الفازلين لإعاقة أي شخص عن الصعود لإنزال العلمين اللذين تركهما المعتدلون للذكرى. وبعد محاولات فاشلة قرر البورسعيدية ببساطة أن يفجروا التمثال، و«جابوه من قفاه»، ولا يزال الجزء الأكبر منه ملقى في مخازن هيئة قناة السويس منذ ما يقرب من سبعين عاماً.

نجح البورسعيدية في صد العداون، مثلما نجحوا في تشويه صورة «الدمياطية». يقول أهل دمياط: «عقب التهجير (١٩٦٧) استقر عندنا عدد كبير من البورسعيدية. «أكرمناهم»، وعملنا معهم واجب الضيافة من أكل وشرب وحفاوة لمدة يومين ثم أسبوعين ثم أشهر طويلة. وعندما اكتشفنا أن الإقامة ستطول قلنا لهم: «لأ، إنتو تنزلوا تشتغلوا بقى»». فألصق البورسعيدية بالدمياطية صفة البخل انتقاماً لكرامتهم، على الرغم من أن أهل دمياط لم يُقصروا يوماً.

كنا قد استدنا من بعض الدول عند بناء السد العالي، وطلب بعضهم السداد نقداً، وطلب البعض أن يكون السداد بضاعة عينية وضعوا لها قائمة كان على رأسها الأثاث الدمياطي. وعندما وصل الخبر إلى الدمياطة سهرت ورش المدينة بكامل صناعيتها أيام طويلة لتسدد ما على مصر.

دمياط<sup>(٢)</sup> التي زارها «ابن بطوطة» وسجل إعجابه بها قائلًا إنها مدينة «سورها حلوى»، لأن حدودها كانت محاطة بأشجار الموز. لم تخذل أحدًا يومًا ما (ما عدا نور الشريف في فيلم «ضربة شمس»). لكن يبدو أن البورسعيديه قد نجحوا في «دمس» كل ما سبق تحت سمعة البخل. وهم ليسوا بخلاء، ولكنهم شطار. وتقول الأسطورة إن تاجرًا يهوديًّا باع لدمياطي شحنة مشدات صدر حريري، وعندما فشل الأخير في بيعها قسم كل قطعة إلى اثنتين، ثم باع الشحنة للإسرائيли باعتبارها طواقي للحاخامات.

---

#### هامش ١

«نحن لا نسيطر على السويس، إننا نحاصرها، ولكننا لا نستطيع الدخول إليها»، هكذا صرَّح المتحدث العسكري

الإسرائيلي صباح ٢٥ أكتوبر ١٩٧٣، وكانت كلماته ترن في أذني بينما أدخل السويس للمرة الأولى في حياتي.

ذكرني كرم أهل المدينة باستقبال السوايسة للجنود العائدين من الجبهة عقب ٥ يونيو. خرجت المدينة بأكملها لتأخذ الجنود بالأحضان وتحتفف عنهم الألم، اقتسموا معهم الطعام على ندرته، ثم خرجت مجموعات من شباب المدينة تخترق المدقات الصعبة ومنطقة الشط ومداخل سيناء بحثاً عن الجنود التائهين أو الذين أسقطتهم التعب والعطش. كان العدو على الضفة الأخرى يتبع الموقف بشماتة، وهو يرى المدنيين يحملون الجنود المنهكين، فما كان من أهل السويس إلا أنهم جمِيعاً، خلعوا الملابس المدنية وارتدوا «الكاكي»، ليقولوا للعدو إن المدينة كلها جنود. وعندما رُفع العلم الإسرائيلي فوق الضفة الشرقية كانت الرسالة موجعة، وكان لا بد من رد. اقترح البعض رفع العلم المصري، ولكن لا معنى لرفعه فوق أرض مصرية، وكان الرد بإدارة ماكينات المصانع المتوقفة ليرتفع في سماء المدينة دخان المصانع عالياً.

في كل بيت أسطورة: تبدأ بشهيد أحسن استقبال دبابات العدو عند مداهمة المدينة عقب العبور. وتمر برجل مُسنّ سحب شباب المدينة في اتجاه بئر مهجورة ليحفروها، تحت وطأة العطش الذي فرضه العدو على المدينة عند حصارها بقطع ترعة المياه العذبة. وتنتهي بأطفال في مرحلة التهجير، استقلوا سيارات النقل المكسوفة مُهجرين من المدينة، ليستقبلوا

سنوات حياتهم الأولى غرباء في مدن أخرى، قبل أن يعودوا بعد الحرب. في كل بيت رجل كبير، عندما كان طفلاً عَمِدَ أهله بأن غطسوه في «ماء الكنال»، ليدبّد فوق مائتها بقدميه دببة جندي مصرى على ضرب السسمية.

كنت أريد أن أقتلع قطعة من الأسفلت تصحبني في العودة، لكنني اكتفيت بأن أعود بعلم السويس لأُعلّقه في غرفتي. في طريق العودة، كنت أضع العلم فوق شباك باب السيارة ليقيني من الشمس، وطوال الطريق كنت أفكر في العودة تماماً للأطفال المهجّرين.

## ٢ هامش

استُخدمنت دمياط كمنفى للزعيم عمر مكرم. قبلها بسنوات كان مكرم وجموع المصريين يضغطون على محمد علي لتولي حكم مصر. قبل محمد علي، واشترط لكي يُطمئن المصريين ألا يفعل شيئاً إلا بمشورة الرعية، وأنه متى خالف الشروط وجب عزله، وهم قادرون على ذلك كما يفعلون الآن بتوليتهم له. وهو ما تخلّى عنه محمد علي سريعاً، فائقل المصريين بالضرائب والمكوس الاستثنائية، وراح يهدّر الحرّيات والحقوق. وقف في وجهه كثيرون، فقبض على رجال العوام منهم مثل: غريب البقلبي، واختار النفي لمكرم، لأنـه - حسب تعبير الباشـا - «يعانـدـني، ويـبـطـلـ أحـكـاميـ، ويـخـوـفـنيـ بـقـيـامـ

الجمهور». وقد سجل الجبرتي كيف احتشدت الجماهير تبكي حزناً وهي تودّع مكرم إلى دمياط، لأنّه كان مقصدًا للناس، ومتّعصبًا في نصرة الحق.

## كيف كانت «اللجان» قبل أن تصبح «الكترونية»؟

بعد ثلاثة أيام من الإقامة في عش الزوجية، الذي يبتعد  
عن شقة حماتي مسافة ثلاثة عمارتـ، ضبطت زوجتي  
تقف في البـلكونة متأثرة وهي تغـني:  
مهما خـدتني المدن  
وخدـتنـي نـاسـ المـدنـ

دـايـمـا صـورـتكـ فـيـ قـلـبـيـ دـلـيـلـيـ فـيـ المـدنـ  
رـأـتـ زـوـجـتـيـ فـيـ مـسـافـةـ الـعـمـارـاتـ الـثـلـاثـ مـنـفـىـ،  
وـتـعـامـلـتـ مـعـهـ بـأـغـنـيـةـ رـقـيقـةـ حـزـينـةـ لـعـمـادـ عـبـدـ الـحـلـيمـ.  
بـالـضـبـطـ مـثـلـ إـمـبرـاطـورـةـ إـيـرانـ السـابـقـةـ «ـفـرـحـ دـيـيـاـ»ـ التـيـ  
بعـدـ أـنـ اـسـتـقـرـتـ فـيـ الـمـنـفـىـ مـعـ الشـاهـ زـوـجـهـ،ـ كـانـتـ  
تصـابـ بـنـوبـاتـ حـنـينـ،ـ لـكـنـهـاـ لـمـ تـكـنـ تـجـيدـ الغـنـاءـ،ـ فـكـانـتـ  
تحـضـرـ الـتـلـفـونـ وـتـتـصـلـ بـأـرـقـامـ عـشـوـائـيـةـ فـيـ طـهـرـانـ،ـ لـبـيـوتـ

لا تعرف أصحابها، تخبرهم أنها مغتربة وتود الحديث معهم، فتسألهم عن أحوالهم وطبخوا إيه النهارده وأخبار أطفالهم حتى تُشفى من أثر نصل الوحشة.

خرجت الإمبراطورة من إيران إلى منفاتها في صمت، بعكس «قطر الندى» التي أراد والدها «خمارويه» والي مصر، أن يتقرب إلى الخليفة العباسى بعرض ابنته للزواج من ابن الخليفة، لكن الخليفة اختارها لنفسه. وكان «خمارويه» رجلاً «لارج»، فلم يمانع، وجَّهَّزَها بجهاز أفلس مصر، ثم أرسلها إلى بغداد بزفة عظيمة، بعد أن بني لها على الطريق عدة قصور، وأحد كل مسافة معينة مجَّهز بكل وسائل الراحة والرفاهية لترتاح فيه.

الحكاية تبدو سعيدة، لكن إذا دققت فستكتشف أنها بائسة. مثل جملة ناعمة تقول: «الدنيا ريشة في هوا طaireة بغير جناحين»، لو دققت فيها فستتجدها مخيفة. أو جملة كانت قديماً مبهجة تقول: «ماما زمانها جاية»، تحولت الآن إلى جرس تنبيه رنينه ذعر، ماما زمانها جاية وهناك شيء ما يجب علينا أن نخفيه. وهو تبدل يليق بتطور الكوكب، خلق الإنسان لكي يعيش على كوكب الأرض بالعرض، لكنه أصبح يعيش عليه بالطول في عمارات تناطح السحاب، الكهف المطل على الغابة أصبح في الدور الـ ٢١، ويطل

على حديقة رمزية. شقق في كل مكان، لكن مصر لها نصيب الأسد منها، حيث يوجد في مصر وحدها الآن ثلثاً شقق العالم، وانتشرت العمائر والأبراج، وتعلم الناس مؤخراً أن يدخلوا أموالهم في الخرسانة، وهي ملاحظة لن تُعجب اللجان الإلكترونية.

«اللجان» الإلكترونية قديمة، بدأت «قرديحي» قبل «تي اي داتا» بسنوات (قردح بمعنى تذلل، وقرديحي أي ذليل). يحكى خالد محيي الدين: «قال ناصر دفعنا ٤٠٠٤ جنيه لخروج مظاهرات ٤٥ مطالبة بإلغاء القرارات الديمقراطية» (عودة الأحزاب، والحربيات، وكل هذا الكلام الفارغ). تعمل اللجان بتكتيكي «نشر العدو» في مجتمع مناعته صفر، ويساعدها الإعلام السائد في مهمتها. سمعت تحية كاريوكا تقول: «لا بد من مساحة عمل ثابتة للممثلين الكبار، لتعليم الأجيال الجديدة». والسؤال: من تعلم الأجيال التي تدرس الإعلام حالياً والمهنة بلا كبار أو أكابر؟ مجرد رابطات عنق تتحدث بالثقة نفسها التي كانت تقدم بها النساء وصفاتها الطبية قديماً (العلاج العقم تُحمر السيدة كمية من البصل، ثم تذهب بها إلى قبر مفتوح، وتلقى فيه ما معها وهي تقول ثلاث مرات: «خدوا التقلية وهاتوا الذرية»)؟<sup>(١)</sup>

الاعتماد على شخص فاهم و مشاكس افضل من جاهل «عايز يخدم». كان من المفترض أن يمر قطار الملك فؤاد المتوجه إلى أسوان بمركز منفلوط، فقرر المسؤولون أنه لا بد أن يحتشد الناس على الرصيف للتحية، لأنه إذا أطل الملك من نافذة القطار وهو يمر ووجد المحطة خالية «هتطير فيها رقاب»، فحُشد الأعيان، وفكر قائد الشرطة في أهمية وجود نساء تزغرد، ونساء الصعيد لن يفعلن ذلك، وكانت الدعاية وقتها رسمية، فاستعان بالموسسات المسجلات وألبسهن ملابس حشمة، وعند مرور القطار حدث هياج، فاختلت الترتيبات، وانطلق الرجال بالنساء، وكانت فوضى، فوقف قائد الشرطة يهتف وهو يشير يميناً ويساراً: «الأعيان من هنا.. والموسسات من هنا».

أول ضربة وجهها العدوان الثلاثي كانت لاستوديو «صوت العرب» في «أبو زعبل»، ليخرسوا صوتاً يلهم أمة ويمتلئ بالثقافة والفن والنبرة، قال عنه ناصر في البرلمان: «سمعت عندهم كلام مش موافق عليه، لكن لا أستطيع أن أحدد لهم ما يقولونه، لأن قيمة صوت العرب في هذا الصوت». انطلقت الإذاعة برئاسة الشاعر صالح جودت، فبدأت كبيرة. وإذا كانت الدولة تُجري حالياً اختبارات المخدرات للموظفين، فإن الدولة أيام محمد علي كانت

تُجري اختبارات مفاجئة في الإملاء وقواعد اللغة، لأن الموظف الضعيف في الكتابة خطر على الدولة، وهو اختبار إذا جرى الآن فسيثير الفزع.

ترتاح الأنظمة للإعلام القادر على أن يأخذ الناس في «دوكة» (الدُوكَة في اللغة هي المرض. يعني الإعلام الذي يُمرض الناس). وقال الشاعر صالح جودت: «إن الحكومات البوليسية تكره كتاب الدرجة الأولى، لأنها تعتبر كلاًّ منهم حكومة داخل الحكومة، ولهذا فهي تعتمد دائمًا على كتاب الدرجة الثالثة». وكان حسني مبارك قد طالب الكتاب والمثقفين في المجتمع معهم بأن يقتدوا بالصحفي سمير رجب رئيس تحرير «الجمهورية» وقتها، وهو ما اعتبره يوسف إدريس إهانة كبيرة له شخصيًّا وللشغالة، فانسحب من الاجتماع غاضبًا، فطارده بعدها مبارك بالتلقيح وشائعات أنه كان يقبض من القذافي. وأيام مبارك أيضًا كان بلينج حمدي<sup>(٢)</sup> قد أرسل من غربته في باريس إلى عفاف راضي أغنية كتبها ولحنها، اسمها «برغم بعد عنك»، فغتها وصوّرتها، لكنها لم تكن تذاع كثيرًا، حتى مرض مبارك وسافر إلى ألمانيا للعلاج، فرأى رئيس الإذاعة والتلفزيون أن إذاعة هذه الأغنية المجمدة ستكون مناسبة للحدث، ومعبرة عن مبارك في غربته، وعرضن

الأمر على الوزير الذي رحب بالفكرة، لكنه طلب منه أن «نسأل الأستاذ جمال الأول». وقد وافق الأستاذ جمال على إذاعتها بعد أن أعجبته الفكرة. ومؤخرًا سمعت مذيعًا ذا ميول حكومية، يهاجم وي奚ّر من أحد مذيعي القنوات التركية قائلاً: «ده بيكتب أغاني لسيمون»، وهناك تحفظات كثيرة على مذيع تركيا كان يمكنه وهو يناقشها أن يكون مفيدًا، فيصحح مفاهيم ويقوّم وجداولًا، لكنه اختار من هذه التحفظات ما يزرع في العقل الباطن تفاهة الفن، وعارض كتابة الشعر والأغاني، وقلة قيمة ما مرتبطة بفنانة محبوبة.

أسطورة أم كلثوم تقوم على طبق مهليّة. طفلة حلوة الصوت يحاول والدها أن يقنعها بالغناء، لكنها ترفض خجلاً، فيغريها بطبق مهليّة، فتوافق، وتتصعد إلى المسرح ولا تنزل منه أبداً. والمهليّة قد تصنع فنانًا يحرك المشاعر، لكنها لا تصلح أبداً لصنع شخص يوجه الناس.

الإعلام عموماً له «طلعات» غريبة من زمان. في بداية السبعينيات تحمسوا لمحاربة السوالف العريضة التي انتشرت، وزرعوا في عقول الآباء والأمهات أن تلك السوالف التي يتزين بها أبناءهم وارد إسرائيل، هي التي صدرتها إلينا لتلهينا عن المعركة، لكن أحدًا لم يهتم حتى بأن هذا الجيل خاض حربه بالسوالف ماسحًا بكرامة

إسرائيل الأرض. وفي بداية القرن الماضي تحمسَت الصحف (إعلام الفترة) لمتاج طبّيعي يعيد الشيخ إلى صباه، اخترعه الخواجة «دلمار» في أجزا خانته بالموسكي، مستحضر قالوا عنه: «يقوى المجموع العصبي، ويحرك الشهوة دون ضرر، مكوّن من نباتات مصرية طبيعية مطبخة في فرنسا، وهي ليست تراكيب كيماوية تهيج الأعصاب ثم يعقبها ضعف البدن». جملة طويلة اختصرت بعد قرن في كلمة واحدة «فياجرا». الحبة السحرية التي دعمت أحلام الرجل التوسيعة، وهناك من يدافع عنها بصفتها «كَتَر خيرها فاتحة بيوت». هناك رجال يعتقدون أنهم يستطيعون الغلوسة على أي سلوك حيواني خلال المعاملات اليومية بحيوانية أكبر في نهاية اليوم. الفرق بين الرجل والمرأة في الفراش، يُذكّرني بالفرق الذي ذكره المستكشفون قديماً بين الشرق والغرب، فسكان الشرق يرون الغابة، بينما يرى الغرب عدد أشجارها، وهي تنظيرة قد لا تعجبك فلا تتوقف عندها كثيراً، وهي ليست دفاعاً عن المرأة في شيء، فهي أقوى من أن تحتاج إلى من يدافع، لكنها قد تحتاج إلى من يستمع. وأنا وقفت أستمع إلى زوجتي وهي تغني، تعاطفت مع تغريبة عروس جديدة فعزّمتها على السينما، وبعدها أكلة سوشي، وفي

نهاية اليوم أعدتها إلى والدتها التي استقبلتها بأحضان مؤثرة. وتركتهما وعدت إلى المنزل وحيداً، ثم ضبطت نفسي في وقت متأخر بعد أن غادرت الفراش قلقاً، أقف في البلكونة وأغني:

زي ما رُحنا.. زي ما جينا  
بس الاسم.. إننا حبينا<sup>(٣)</sup>

---

#### هامش ١

التقلية وصفة العقم. أما وصفة الإجهاض، أيًا كان السبب، فهي «شرب الكواكولا المغليّة»، وهي وصفة غريبة، أغرب من الطريقة التي كان يُقاوم بها الفلاحون دودة القطن في بدايات القرن الماضي (رش النباتات التي وصلت إليها الدودة بمستحضر قوامه غذاؤهم الأساسي «الميش»، مع إضافة القليل من «الجاز»)، بخلاف وصفة مقاومة البليهارسيا في العشرينات، والتي تقوم على تعاطي الحشيش لأنّه يُبطل همدان المرض، ويجعل الرجل قادرًا على أداء واجباته الزوجية. أما المرأة التي لم يكن يعيش لها مواليد، فكانت وصفتها سهلة: تأخذ المولود الجديد و«تشحت بيه» أربعين يوماً.

أما المعجزة الحقيقية، فكانت وصفة «السونار البلدي»:

الأجيال القديمة من فلاحات الدلتا كن يمتلكن جهاز سونار  
شعبياً يساعدهن على تحديد نوع الجنين. الوصفة: حبة قمح،  
وحبة شعير، يغرسان في حفنة رمل، ثم تقوم المرأة الحامل بري  
هاتين الحبتين يومياً بيولها، فإذا نبتت الاثنتان (حبة القمح وحبة  
الشعير) فإن المرأة ستلد ولداً، وإذا نبتت حبة الشعير فقط فإنها  
ستلد أنثى، وإذا نبتت حبة القمح فقط فإنها ستلد ولداً، أما إذا  
لم تنبت هذه ولا تلك فإن حمل المرأة لن يكتمل ولن تلد.

وكانت هناك وصفة أخرى شائعة لتحديد جنس المولود،  
وصفة يستخدم فيها البطيخ، حيث يُهرس ويُخلط بكمية من  
لبن امرأة ولدت ذكراً، ويُقدم إلى المرأة الحامل، فإذا تقيأته  
فستلد ولداً، وإنما فإنها في الغالب لن تلد.

## ٢ هامش

«من هو مثلك الأعلى ككاتب؟».  
سؤال الندوات المتكرر. يمتلك بلية حمدي كموسيقي  
كل ما يجعله مثلي الأعلى ككاتب.

يعرف الواحد على موسيقى بلية وهو مغمض العينين.  
يقولون «الأسلوب هو صورة العقل في المرأة». يتمنى الواحد  
أن يمتلك عقلاً يرتقي الأفكار المضطربة، كما كان بلية يرتقي  
الموسيقى المشتعلة بداخله.

يدخل بلية في الموضوع مباشرة، يتتجاوز الزخارف،

رهانه طوال الوقت على «البني آدم»، لا يراهن على إيهاره بالاستعراض، ولكن على أن يلمس قلبه مباشرة. هو شخص «مذاكر جمهوره»، درس المصريين وما استقر في وجدانهم، وهي معجزة مع وجдан معقد ومزدحم يصعب النفاذ من كمائنه لتسجيل نقاط جديدة، شخص يمكنك أن تقرأ من إنتاجه أنه كان يعمل وهو مشغول بالناس وليس بنفسه.

يمتلك بلية المقدرة على تحديد ما يريد أن تقوله بالضبط عند تقديم عمل ما، لا ثرثرة ولا كليشيهات، حماس الاستهلال ينقلب سحراً مع القفلة. هناك أحان كثيرة عظيمة في تاريخ مصر، لكن ما يميز بلية أن موسيقاه تجاوزت منطقة «السمع» إلى منطقة الموسيقى التي تفتح معك «مواضيع».

بلية حمدي يشبه اسمه، البلاغة هي ما يفهمه العامة ويرضى عنه الخاصة. وهو حلم أرباب الورقة والقلم أينما ظهروا. الإنتاج الغزير والمتنوع المسقى من بحيرة طموح عجيبة. «كان في الستين وهو يتحدث في حوار عن خططه لمسرح غنائي». رغبة لا تخبو في التجريب، «أصوات وألحان وآلات». يقفز برشاقة مع قفزات الأجيال المتعاقبة. الملحن الشاب المنطلق بقوة في بداية الخمسينيات، تلهث خلفه حناجر الثمانينيات تحلم بفرصة معه، ثم تكتمل الأسطورة عندما يستعد ببناء الألفية الجديدة إعادة تقديم أحانه، فتبعد في حلتها الجديدة كأنها خرجت من المطبخ صباح اليوم.

بلية حمدي مثل أي كاتب كبير، يعرف قيمة كل تفصيلة،

ويضع كل شيء في مكانه بالضبط. في معجزة «وأنا على الربابة  
باغني» استخدم في الخلفية إيقاع «النقرزان»، إيقاع الفرح  
الوقور. وهو يصوغ فرحة العبور عمل بلية حساباً للعائلات  
القلق على أبنائها على الجبهة، فصنع لها مساحة للفرحة التي  
تقول إن ثمنها غالٍ.

«أشكى لمين» التي غناها منير، معجزة. بلية صاحب  
الكلمات واللحن صنع بالمرح والبهجة فستانًا لجسد حزين  
يقول: «أشكى لمين وأحكى لمين دنيا بتلعب بینا؟»، التناقض  
الذي ينير التجربة، واقعية «بُكرة الزمان يسرق شبابنا»، مع  
استبسال «بالحب ننسى كل اللي فاتنا»، وسحر التسليم «إيه  
راح ناخد منها إيه». أغنية تقول كيف يمكن للواحد أن يصادق  
أحزانه ويقف يتأمل معها فتارين السكينة! هذه خلطة لا تتسمi  
إلى الموسيقى بقدر انتماها إلى الواقعية السحرية.

معجزة بلية أنه عاش للفن ولم يعش به، وأنه يُلحن كطبيب  
نفسِي لن يبدأ لحن له وأنت قلق على حافة المقعد إلا وأرغمهك  
على أن تزحف قليلاً إلى الخلف، وأنه يرى في الشكوى مناسبة  
لـ«السلطنة»، وأنه يجعلك تنسى المُتبرج نفسه وتنشغل بتأمل  
الصنعة، وأنه يجعلك تسأل نفسك كثيراً: «عملها إزاي؟».

يقول «مولير»: «كل الفنون تسعى لأن تكون موسيقى».  
ومعجزة بلية أنه اختزل في موسيقاها فنوناً كثيرة في مقدمتها  
من وجهة نظري «فن الكتابة».

في فقرة حلیم في إذاعة الأغانی قالت المذيعة: «سنستمع

إلى أغنية ألحان الموسقار عبد الوهاب، والثانية ألحان بلينغ حمدي». شعرت بفحة ألا تعتبره المذيعة موسقاراً مثل عبد الوهاب، ثم أدركت أنها فعلت ذلك بتلقائية الكلام عن الأغراض وأفراد العائلة. قال لي أحد كبار الملحنين: «عبد الوهاب عمل أغاني للناس، بلينغ خلا الناس تغنى»، وهذه معجزة أخرى.

### هامش ٣

أغنية «حاول تفهم» لمحمد محبي، كلمات محمود العدوى، ألحان مصطفى عوض.

## هل كان نجيب محفوظ «تلميذ شاطر»؟

لا بد من ذكر الاسم ثلاثيًّا، هذا شرط نص القرار الجمهوري الذي يتعلّق بأي شخص في مصر. استُثنى هذا الشرط مرّة واحدة، عندما أصدر عبد الناصر قرارًا بتعيين نجيب محفوظ<sup>(١)</sup> رئيس مجلس إدارة المؤسسة المصرية العامة للسينما. لم تتعامل معه رئاسة الجمهورية كمواطن ذي بطاقة شخصية واسم ثلاثي، لكنه كان بالنسبة إليها «ماركة»، لم يكن حتى اسمًا ثالثيًّا، كان كلمة واحدة «نجيب محفوظ». «المشي في شوارع القاهرة غير مريح»، قالها محفوظ ولم يتوقف عن المشي أو عن القاهرة. وكانت أعتقد أن إدمانه للمشي هو الذي جعله لا يتعثر أبدًا طول الطريق، إلى أن لمحت في كتاب «العادات الذرية» مقولته: «التهديد الأكبر للنجاح ليس الفشل، ولكن الملل»، وظهرت صورة محفوظ أمامي في الحال.

لم يمل أو يتوقف، وحول الكتابة من مهنة إلى عادة.  
احترف نظام العمل، لكنه ترك الموهبة تنعم بروح الهواية.  
وكان تقريرياً الشخصية العامة الوحيدة التي نعرف لها  
برنامجاً يومياً متظهماً ومضبوطاً بالثانية.

معلش ثانية واحدة...

شخصية أخرى عرفنا برنامجهما من الأستاذ هيكل:  
السادات.

التاسعة صباحاً: الاستيقاظ وتناول ملعقة عسل بعذاء  
ملكات النحل، يعقبها فنجان شاي، ثم نظرة على الصحف.  
التاسعة والنصف: فقرة المدى، ويعقب التدليك  
الطبيعي حمام ساخن، يعقبه وصول صينية الإفطار المكون  
من الجبن والخبز الخالي من السعرات الحرارية المستورد  
خاصياً من سويسرا.

قبل الظهر: كأس من الفودكا ينشطه قبل إجراء  
المقابلات.

من الثانية عشرة حتى الرابعة: مقابلات.

الرابعة والنصف:وجبة الغداء (شرائح صدور الدجاج  
أو اللحم البارد، مع طبق خضراوات طازجة بدون بهارات)،  
ثم الذهاب إلى النوم.

السابعة والنصف: الاستيقاظ وتناول وجبة خفيفة.

الثامنة: بدء الاتصالات مع الوزراء وبعض المسؤولين الأجانب، بالذات الأميركيكان، تعقبها مكالمات مع بعض رؤساء تحرير الصحف المقربين منه، يناقشهم فيما لديهم من أخبار، ويقدم إليهم توجيهاته.

التاسعة والنصف: يطلب كشف أسماء الأفلام العاجزة للعرض في صالة السينما المترالية، ويؤشر على فيلم أو اثنين، ويبدأ العرض في تجمع عائلي في حدود العاشرة. الثانية عشرة مساء: التوجه إلى النوم.

في عام ١٩٨٠، أُجري حوار صحفي يجمع محفوظ وتوفيق الحكيم مع الأولى على الثانوية العامة (كان ترتيب محفوظ في البكالوريا ٢٣ على القطر، في الفترة التي كانت الرحلة المدرسية الأشهر وقتها هي رحلة الطلاب إلى المتحف الصحي الذي أنشأه الملك فؤاد، ليتأمل الطلاب هياكل مدمني الكوكيين وصورهم البشعة لتفادي هذه المأساة مستقبلاً). المهم، سُئل محفوظ الطالبة عن طموحها المستقبلي، فقالت إنها ستدرس الآداب لأنها تود أن تتحرف الكتابة، فنصحها محفوظ بمراجعة الفكرة وأن تطورها لفن مصور قائلاً: «المستقبل

للسورة أكثر من الحروف، والتلفزيون جاء مناسباً للجيل الحالي، لأنهم من حيث التعليم استيعابهم أقل، ومن حيث الثقافة معدوّمو الثقافة تقريباً». وقد كان محقاً، لأن الصورة تتصدر حالياً، ولو لا كبرياء المطبع لأصبحت الكتب فلكلوراً.

يقول «تشيكوف» ناصحاً الكتاب: «لا تقل لي إن القمر مضيء، ولكن أرني أثره فوق زجاج مهشّم». وكل ما مر بمصر من زعماء وشخصيات وأحداث ستتجده بين سطور أعمال محفوظ، لكنه في الوقت نفسه حمى ما كتبه بأن ابتعد عن السياسة الصريرية، بمبدأ «ابعد عن الشر وغئيله»، وهي جملة نرددها منقوصة، فهي «ابعد عن الشر وغئيله ولا «تقنيله»»، أي: اصنع قناة بينك وبينه، وهذا شرط الغناء.

طلبوا منه تصريحاً صحفياً بخصوص اتصال مبارك به بعد «نوبل»، فقال: «اتصال مبارك نوبل أخرى». قبلها سنوات حافظ على مسافة بينه وبين ثورة يوليو، ربما لأنه لمح كركبة تسيطر على البدايات: في ستة أشهر رفض عدلي باشا الملوم<sup>(٢)</sup> تحديد الملكية الزراعية، فحاصرت الدبابات منزله، ثم حُكم عليه بمؤبد سريعاً. إغلاق جريدة «المقطم» ومجلة «الكتاب» ومجلة «الملايين» و«الثقافة»

و«الرسالة» وخمس مجلات أخرى. اعتقالات بالجملة. إلغاء الدستور. حل الأحزاب ومصادرتها ودائعها في البنوك. حل نقابة الصحفيين، ثم نقابة المحامين. طرد أكثر من أربعين ألفاً وخمسمائة أستاذًا من التدريس في الجامعات. مصطفى أمين يكتب مقالاً بعنوان «سر الضباط التسعة» يكشف عن قيادة ناصر للمجموعة، فيتم منع نشر بقية المقالات (على الرغم من أن ناصر كان مصدر المعلومات، لكنه شعر بفتنة قادمة داخل الجيش فقرر أن يُضحي بأمين صوريًا). وشهد محفوظ وقتها عودة نظرية «ربط اسم مصر باسم القائد». يقول أحد المؤرخين عن فترة أقدم من تلك: «لقد بلغ التوحُّد بين مصر وحاكمها درجة تجعل الكلام عن حكومة مصر أو تجاربها أو سُرطتها، إلخ، يعني الكلام عن شخص محمد علي».

قدر النظام سلمية محفوظ، فتجنبَ جرجاته للنيابة بعد ثورة ضد «أولاد حارتنا»، لكنه سرَّح في الشوارع مخبرين يمثلون أنهم معجبون بمحفوظ، يستوقفونه ويناقشونه كقراء في الرواية وماذا كان يقصد<sup>(٣)</sup>.

لم ينجُ من ملاحقة الأمن للمثقفين في عهد عبد الناصر - بخلاف نجيب محفوظ - سوى صلاح جاهين. كان جاهين مفتوناً بالشاعر الكبير فؤاد حداد، المحبوس منذ أربع

سنوات بسبب انضمامه إلى خلية سرية. وكان جاهين يُردّد أشعار حداد في كل مكان، ويُطارد كل من يعرفهم من أصحاب القرار لإنها سجن حداد. وكان ثمة حاقدون على المكانة التي يحظى بها جاهين، ويبحثون عن أي مدخل للوشایة، فأرفقوا محاولات جاهين للإفراج عن حداد مع رباعية قالوا إنه قصد بها عبد الناصر، وهي الرباعية التي تبدأ بـ«يا طير يا عالي في السما طُزْ فيك».

جهّزوا قرار الاعتقال وقدّموه إلى عبد الناصر للتتوقيع عليه، فغضب ناصر بشدة، وألقى بالقرار في وجهه من قدمه قائلاً: «إن كل ما يقدّمه جاهين رسمًا وشعراً يعبر عن وطنية خالصة وفنان مهموم بوطنه».

كانت أزمة «أولاد حارتنا» لها علاقة بالدين، وما أفصح عنه محفوظ فيما بعد أنه شعر بالقلق لأن المحتوى كان سياسياً بالدرجة الأولى، لكنه حمد الله أنهم جنحوا به إلى قراءة أخرى ظلت تطارده ثلاثين عاماً حتى استقر خنجر في رقبته. «أولاد حارتنا» باب رزق بدأ بألف جنيه مكافأة جريدة «الأهرام» لنشرها مسلسلة، وانتهت بـ مليون جنيه قيمة جائزة «نوبل» التي استقبل الصحفيين بعد حصوله عليها في بيته بـ«البيجاومة».

يعرف الجميع الرواية، لكن قليلين قرأوها، والصورة<sup>(٤)</sup>

لا تزال متقدمة، وجرّب أن تسأل العامة عن محفوظ،  
وستجدهم يحدثونك عنه وفي مخيلتهم «يحيى شاهين».

---

## هامش ١

ُحُرم نجيب محفوظ بسبب اسمه من بعثة الجامعة لدراسة الفلسفة في باريس، ظنًا من إدارة الجامعة أنه قبطي. كان القصر الملكي يزعجه وقتها دعم الأقباط لحزب «الوفد»، فحرّمنا من فيلسوف، وهي ليست خسارة كبيرة في بلد يعتبر الفلسفة شتيمة (إنت هتفلسف؟)، وكسبنا معجزة تتجاوز الفن والأدب إلى ما هو أبعد بكثير.

## هامش ٢

كان عدلي لمفروم أحد أشهر الإقطاعيين في مصر. يمتلك أربعة عشر ألف فدان في محافظة المنيا، وعددًا كبيرًا من الأتباع والخدم. ورث كل ما سبق وهو في سن السادسة والعشرين. وبعد صدور قانون الإصلاح الزراعي في مصر، والذي يحدّد ملكية الأفراد للأراضي الزراعية بحيث لا تتعدي ٢٠٠ فدان، قاد عدلي لمفروم تمرداً ضد ذلك القانون، فامتطى صهوة جواده، ومعه الحرس والأتباع والخدم، وخطب في الناس مهدداً من

يفكر في أخذ شبر من أرضه. وقام ورجاله بمهاجمة قسم الشرطة وإطلاق النيران على الضباط، وبعد القبض عليه وأثناء محاكمته كان يسب قادة الثورة بأقذع الشتائم والألفاظ، ويتهمهم بالسرقة وتدمير الزراعة في مصر.

حُكم عليه بالإعدام، ثم خُفِّف الحكم إلى المؤبد، إلى أن أُفرج عنه بعدها بفترة نظرًا لسوء حالته الصحية.

### هامش ٣

تكرّر التحقيق غير المباشر مع نجيب محفوظ مرّة أخرى، حسب رواية نجيب محفوظ للأستاذ رجاء النقاش، فقد طلب منه فريد شوقي كتابة سيناريو لفيلم يدور في أجواء المخابرات، وكان لا بد من زيارة مكتبه لمناقشة الفكرة، وطلب مساهمتهم في الإنتاج. وفي مكتب ضابط المخابرات المسؤول، كان هناك شخص يجلس بعيدًا ولا يشارك في الحديث، حتى انتهى الكلام عن الفيلم، وفتحت سيرة الروايات، فقال له الشخص الغامض إنه قرأ «بين القصرين» و«أولاد حارتنا»، ثم بدأ يسأله عما يقصده في هذه الرواية، والمشكلات التي أثيرت حولها، وحقيقة أنها تحتوي على تجاوزات دينية. ثم انتهى الحوار بانصرافه، ووعد الضابط بدراسة الفكرة والمساهمة في التمويل.

ويحكى محفوظ أنه بعد هذه الواقعة بشهور شاهد في الصفحة الأولى لجريدة «الأهرام» صور جولات عبد الناصر

في إحدى الدول الأفريقية، وعندما دقّ وجد بالقرب منه الرجل الغامض الذي كان يناقشه في مكتب المخابرات، وكانت دهشة محفوظ كبيرة عندما عرف أنه رئيس المخابرات صلاح نصر، ففهم أن الأمر كله كان مدبراً.

#### هامش ٤

علاقة نجيب محفوظ بالسينما، بدأت من الصفر حرفياً. في بداية الخمسينيات قرأ المخرج صلاح أبو سيف «رادوبيس» و«كفاح طيبة»، أحب الكاتب فطلب مقابلته، ثم عرض عليه: «أنا عايزك تكتبلي سيناريو»، فكان رد محفوظ: «يعني إيه سيناريو؟».

بعد هذه الواقعة بعشرين عاماً تقريباً، أصبح نجيب محفوظ رئيساً للمؤسسة المصرية العامة للسينما، يجلس على قمة المؤسسة المسئولة عن إنتاج الأفلام في مصر، وقد وضع بينه وبين نفسه شرطاً لقبول المنصب، وهو أن يتوقف عن كتابة الأفلام طوال فترة توليه المنصب منعاً للحرج.

بعد خروجه من المنصب بما يقرب من عشر سنوات، كانت شركات الإنتاج تفتش بـ«ملقاط» عن أي رواية لنجيب محفوظ لا تزال في درج مكتبه ولم يقم ببيعها، حتى إنهم بدأوا التفتيش في ملفات محفوظ المكتوب عليها «لاجي»، والتي توجد بها روايات كتبها محفوظ ورأى أنها لا تستحق النشر. ومن شدة

الإقبال على روايات محفوظ، كان وارداً أن يقع في خطأ ببعض القصة نفسها مرتين. كانت هناك شركات تشتري القصة وتركتها لظروف إنتاجية، وينساهما محفوظ حتى تطلب منه شركة أخرى شرائها، وتبدأ المشاكل عند الإعلان عن بدء التصوير. ثم بدأت ظاهرة التفتيش لاعتراضات محفوظ، ولكن عن قصصه القصيرة. كان السيناريست مصطفى محرم قد قرأ قصة منشورة في جريدة «الأهرام» لمحفوظ، اسمها «أهل الهوى»، ورأى فيها فيلماً ناجحاً، فعرض الأمر على أحد المنتجين فاشتراها، وقدّمت سينمائياً تحت عنوان «وكالة البلح» بطولة نادية الجندي.

كان أجر محفوظ عن قصة الفيلم ٤٥٠٠ جنيه، ولم يكن الأعلى أجرًا. كان إحسان عبد القدوس يتتقاضى ٧٥٠٠ جنيه ثمناً للقصة. أما حسن شاه فكانت تتتقاضى ١٠٠٠٠ جنيه. وفي ذيل القائمة جاء يوسف إدريس بأجر ٣٠٠٠ جنيه.

## من علم عبد الناصر شرب السجائر؟

في ليالي الشتاء الباردة أمتلك حلاً، لا يمنعني الدفء،  
ولكنه يجعل البرد ممتعًا.

أكتب على يوتيوب كلمة «مصر» وإلى جوارها السنة (مثلاً «مصر ١٩٦٠»)، ثم أتجول بين نتائج البحث،أتأمل نسخة قديمة من بلد أحبه: أفلاماً، أغانيات، شوارع، أزياء، خطبًا سياسية، مقاطع من لقاءات تلفزيونية، حلقات من مسلسل إذاعي نادر، عدداً من جريدة مصر السينمائية التي كانت تُعرض في القاعات قبل بداية الفيلم، دقائق من كرة القدم الأصلية حيث المتعة تسبق الخطط والتكتيك.

وصفة أرى أثرها قريباً من مشوار صيانة السيارة، كل عشرة آلاف كيلو تذهب إلى التوكيل لمساعدة سيارتك على استعادة لياقتها. هذا البلد الذي أتأمله في أربعينياته حتى ثمانينياته يُجدد المحبة، وينفض التراب عن أثر كلمة

«مصر» على وجдан الواحد، ولكن يبدو أن مصر استكترت على الواحد هذه الصيانة الدورية.

صممت الدولة «أبليكيشن» يلزمني بدفع أموال لمشاهدة التراث المملوك لعموم المصريين، والذي يُتَّج ويُصوَّر بأموالهم. كل ما يُشَكِّل ثقافة وجدان شعب قررت الدولة أن تسحبه مني، وتعود فتبيعه لي، وأنا واحد من أصحاب الأصلين. هي تقول إنها فعلت ذلك لحماية التراث، والحقيقة أن «الأبليكيشن» أقرب لـ«كارته»، والكارته هي التفصيلة الأكثر انتشاراً مؤخراً، وهي ليست فكرة حديثة، الكارتة الأقدم صدر بها قرار عقب افتتاح كوبري قصر النيل عام ١٨٧٢، وكان رسم عبور النيل للجمل المُحمل قرشين والفارغ قرشاً، الرجال والنساء فارغين وشاليلين، كل فرد ١٠٠ بارة.

وعلى الرغم من هذه الرسوم المرتفعة، فإن الزحام لم يتوقف. وأفضل تفسير لزحام القاهرة قاله جمال حمدان وفسَّره بـ«الإفراط في العاصمية»، ونبه إلى خطورته، كما نبه إلى فكرة أن الاحتلال على تنوعه فشل في أن يزرع الفتنة بين المصريين، ولكن فعلها الجهل بنجاح. وعن علاقتنا بالنيل قال: «المصري إلى حد ما مخلوق نهري». وكان أول تحديد جغرافي سياسي لحدود مصر، جملة واردة

في إحدى البرديات تقول: «الأرض المشمولة بفيض  
النهر هي مصر».

ارتباط المصريين بالنيل يكاد يكون في قوة ارتباط عبد الناصر بعد الحكيم عامر. كان ناصر يتحدث عن عامر بحب شديد - قبل النكسة طبعاً - قائلاً: «إحنا صعايدة وضباط، وأخذنا شقة مع بعض في القاهرة، وهو الوحيد اللي أدخل بيته في عدم وجوده والعكس صحيح. وإذا أردت أن أحلا أي معضلة أتكلم مع عامر حتى تبلور أفكري، وعامر هو الوحيد الذي يمكن أن يتقبل عنني الرصاص، وهو اللي علمني شرب السجاير».

قال الشاعر في شرب الدخان:

لقد عَنَفُونَا بِالدُّخَانِ وَشَرِبِهِ  
فَقُلْتُ دَعُوا التَّعْنِيفَ فَالْأَمْرُ أَحَوْجًا  
أَلَا إِنَّ الْغَمَ فِي غَارِ صَدْرِنَا  
عَصَانَا فَدَخَّنَا عَلَيْهِ لِيَخْرُجَا

كانت السيجارة في يد عبد الناصر لها جاذبية أكبر من تلك التي تمتلكها وهي في يد نجوم السينما وقتها، كل ما يتعلّق بعبد الناصر محل خلاف ما عدا جاذبيته<sup>(١)</sup>. وتقول المادة الأرشيفية المتاحة إن ناصر كان يُدخن ما يقرب من علبتين يومياً، من مختلف الأنواع: إل إم،

وكيست، وكليوباترا. وكان يدعم صناعة الأخيرة. وفي عام ١٩٥٤ ظهر في خطاب تلفزيوني، قائلاً: «سعر علبة السجائر سيرتفع لدعم المجاهدين في الجزائر ضد الاحتلال الفرنسي». كانت شراهته للتدخين مُهلكة، وظل الأطباء يضغطون عليه للإقلاع دون فائدة، إلى أن أخبره الأطباء السوفيت في رحلة علاجية إلى روسيا أن الأمر حرج ويقترب من الغرغرينا، نقل له المترجم ما يقولونه، وكان ناصر يدخن سيجارة، فأطال النظر إليها، وبعد نفس عميق قال: «لن أجادل، فلم يعد الأمر شخصياً، لكنه يتعلق بيبلد». وكانت سيجارته الأخيرة، وعاش بعدها المدة عام، وعندما توفي كان مقرئ عبد الناصر المفضل الشيخ مصطفى إسماعيل<sup>(٢)</sup> هو مقرئ الجنازة.

حكيت هذه التفصيلة أمام صديق، فقال: «هذا يفسّر سبب موت عبد الحكيم عامر، قتله ناصر بعد أن أفسد عامر كل شيء، بدءاً من الوحدة مع سوريا، ومروراً ب الحرب اليمن، ثم النكسة، وقبلها كان قد بوظ أخلاق وصحة الرعيم».

انتحر عبد الحكيم عامر أم قتلواه؟ سؤال تبدو كل الإجابات عنه صحيحة. فإذا كان قد قُتل، فقد أوحى لهم هو شخصياً بحكاية الانتحار - كتفسير لموته - بعد أن ظل

يتحدث عنه أكثر من مرّة في الأيام السابقة على رحيله. وإن كان قد انتحر، فالفكرة كانت تراوده ولم يُخفها حتى نفذها.

ظهر يوم ٥ يونيو، دخل ناصر على عامر في مكتبه، وطلب منه أن يجتمع، فظل عامر يراوغ، ويتظاهر بالانشغال بالمكالمات التلفونية، ويتجاهل وجود ناصر، حتى رحل الأخير في ثورة عارمة اكتملت في اليوم التالي بعلمه بتعليمات عامر للقوات بالانسحاب بدون خطة، وهي كارثة جعلت المؤرخين يؤكدون على أن «النكسة وخسائرها كانت في الانسحاب ولم تكن في المعركة».

تنحى ناصر، وحاول عامر أن يذيع بيان ت nomine كقائد للجيش لكنه منع، فثار، وتجمّع حوله أنصاره من ضباط الجيش وأقاربه، في بيت مدرج بالسلاح، وهدد بالانتخار للمرّة الأولى.

وصل خبر أن عامر يرتّب لـ«انقلاب»، فدعاه ناصر مع بعض القيادات إلى منزله، وقال له: «تم تحديد إقامتك». فرد عامر: «قطع لسانك». فانصرف ناصر إلى غرفة نومه في الدور العلوي، ودخل عامر الحمّام وخرج إلى المجتمعين حاملاً كأساً فارغة، طالباً من المجتمعين إخبار ناصر أنه انتحر. فأبلغوا ناصر، فقال: «خالت عليكم اللعبة؟ عامر

أجبن من إنه يتتحرر، لو كان عايز يعملها كان عملها لما  
وَدَّانا في دائمة».

كان هذا في نهاية يوليو، وأعيد عامر سليمان إلى بيته بعد تجريده من السلاح والأنصار. وفي ١٤ سبتمبر أعلن عن وفاته منتحرًا. أغلبظن أن عامر استفزه سوء عدالة توزيع أنصبة المسؤولية عن الهزيمة، ففي الوقت الذي أصبح فيه منبوذاً من الجميع زادت شعبية ناصر، وخرج الناس إلى الشوارع متعلقيين بـ«رجل بنطلونه» يستحلفونه ألا يتنهى. تعامل عامر مع الصدمة بروح طفولية غاضبة بائسة.

قارن مثلاً هذا الطفل ب الطفل الموسيقار عمار الشريري عندما كان في الخامسة من عمره. كان عمار يجلس مع صديق في مكتبه، وكان مراد طفل الشريري يقف خلف الباب، كل قليل يطرقه، وكلما سأله عمار من الطارق، كان ابنه يرد متاحلاً أشخاصاً آخرين: «السائق، الطباخ، الخفير». اندهش الصديق الجالس مع عمار، وطلب تفسيرًا، فقال عمار: «قالوله إن أبوه كفيف، ومصر يتعامل مع الصدمة، ويتأكد منها بنفسه». كان الطفل يتأمل الصدمة ويخترر أبعادها بتراوِ بدون غضب أو ضوضاء.

في علاقته بعد الحكم عامر، لم يتعلم عبد الناصر من أزمة «أهل الثقة» و«أهل المفهومية» وهو المؤسس

ل فكرة التعليم المجاني. وإن كان التاريخ يقول إن طه حسين هو الذي بدأ الفكرة عندما كان وزيراً للمعارف، وهي الفترة التي ينتمي فيها العميد على قراره بإلغاء تدريس اللغة الإنجليزية في التعليم الابتدائي لـ<sup>لُ</sup>يقوى لغته العربية، ويقول إن نتيجة قراره كانت أن الطلبة «لا بقت عارفة عربي ولا إنجليزي». وهي نتيجة سيئة لقرار كان يهدف إلى دعم مؤسسة التعليم، بخلاف نتيجة جيدة كان يهدف بها محمد علي إلى دعم مؤسسة الجيش. فعقب أوامر تجنيد المصريين للمرة الأولى، كان الفلاحون يهربون بمؤامرات، ويدفعون لمن يتجنّد مكانهم، فأصدر قراراً بأن يحمل كل شخص جواز مرور مختوماً مسجلاً به اسمه وأسم أبيه ومواصفاته الجسمانية وقريته، وكان هذا هو أول ظهور للبطاقة الشخصية.

تهرب الفلاحين كان سببه إيمانهم بأن التجنيد سكة بلا رجوع، مثل إيمانهم بأسطورة أن شعر الأصلع سيعود إذا لحسست البقرة رأسه مررتين كل يوم، وهي أسطورة ثبت كذبها. واستمر الصلع الذي يتعرّض صاحبه للتتنمّر طوال الوقت مع كثرة الإعلانات عن منتجات وعمليات لـ«علاج» الصلع. كلمة «علاج» تؤكّد طوال الوقت على أن ما يمر به الأصلع هو «علة»؛ كلمة مؤذية مثل تعبير:

«أصحاب الاحتياجات الخاصة»، الذي يجب أن يصبح: «أصحاب القدرات الخاصة» لأنها الحقيقة؛ فهم أشخاص حُرموا من مهارةٍ ما، وعلى الرغم من هذا فهم قادرُون على التعامل والتقدم في تجربة الحياة بدونها، وهو ما يُعبّر عن قدرة خاصة لا احتياج خاص. والصلع ليس مرضًا يحتاج إلى علاج، هو أيضًا قدرة خاصة على أن تواجه نفسك في المرأة بدون رتوش. هناك من يُحسنون التعامل مع هذه التفصيلة، فيقولون للأصلع على سبيل الطبطة إن «الطبيعة أنتجت رؤوسًا جميلة، ثم غطّت البقية بالشعر»، ويُقال له بدون أمارَة حقيقةً أحياناً إنه علامَة الذكاء وتدفق الأفكار لأن «الأشجار لا تنمو على الطرق السريعة»، وهي الطرق الوحيدة حالياً بلا «كارثة».

---

#### هامش ١

يسأل الواحد نفسه: لماذا يفتش دائمًا عن خطب ناصر والسدادات، ولم ينجدب يومًا لفكرة الاستماع إلى خطب مبارك، ولم يجد في الأمر أي جاذبية؟  
لم تكن سيرة ناصر والسدادات العطرة تخلو من العك، ولكن

كانت لكلٍّ منها كاريزما. أما مبارك، فلا أعرف سر حرماته منها. ربما لأنه كان يحافظ على صحته بطريقة تُشير وطنًا معظم سكانه بعافية. كانت صحته مستفزة لدرجة جعلت كثيرين يُطلقون أساطير من نوعية: «يسافر كل ستة شهور يزرع نخاع عيّل لسه مولود». في الفترة التي تحولنا فيها إلى شعب شبابه ورجاله رايحين جايين في الشوارع بملفات التحاليل الطبية، لم يغب الرئيس عن الأنظار، ولو حتى بزيارة شعبية، باستثناء رحلة علاجية إلى ألمانيا.

حتى الرياضة التي اشتهر بها (الاسكواش)، أكبر ملعب لها يسع ثلاثة آلاف متفرج بالعافية. لعبة لا تخصنا، ولا جمهور لها في مصر. وعندما قرر أن يزيد شعبيته فلعب «ماتش ودي» مع أحمد برادة، هبطت أسهم برادة بعدها فاعتزل اللعبة واتجه إلى الغناء. ستقول لي: «طب ما ناصر اشتهر بصورته وهو يلعب البنج بونج». سأقول لك هذا هو الفارق، فصور ناصر جعلت اللعبة شعبية، وأصبح في كل حارة ترابizza بنج بونج قبل أن تحل محلها ترابizzات الـ«بلاي ستيشن».

حتى رهانه على كرة القدم كان خاطئًا، فتمسكه بالظهور في الصورة مع المنتخب جاء من خلفية غير كروية بالمرة. كان يعتقد أن المنتخب سيظل البطل إلى الأبد، ولا يعرف أن كل جيل كروي له دورة حياة قصيرة. ربط اسمه بالمنتخب، فلم تكن مصادفة أن ينهار النظام بالتزامن مع الخروج من تصفيات أفريقيا.

في الوقت الذي كان فيه ناصر مقعد في الصف الأول في حفلات أم كلثوم، وكان السادات يُكرّم أباطرة الفن في عيد الفن سنويًا، في الوقت الذي كانت فيه صورة الرئيس إلى جوار الفنان الكبير إضافة إلى كليهما، كانت علاقة مبارك بالفن والفنانين ضعيفة، ولكن هذا عيب الأسرة التي لا يوجد بها ابنة، فخلفة الأولاد ليست دائمًا ممتعة، فهي أولاً «بتتشف» قلب الأب، وثانيًا تجعله بعيدًا عن التفاصيل التي تلمس القلب. لو كان للرئيس ابنة لاستفاد منها كثيراً في اكتساب جاذبية شعبية. ربما لمح حزنها على ضحايا العبارة فاتخذ موقفاً أكثر حسماً. ربما شعر باكتئابها على خلفية الشاب الذي انتحر لرفض تعينه في الخارجية لأنّه غير لائق اجتماعياً فتفكر في مسألة العدالة الاجتماعية. لكن خلفته كانت أولاداً، وخلفة الأولاد فقط يجعلهم يتحولون بمرور الوقت إلى مخبرين عايشين معًا في البيت.

كانت أناقة ناصر في القميص المحلاوي، وأناقة السادات في الجلباب البلدي، أناقة زعيم. لكن أناقة مبارك كانت تلقي برؤس مجلس إدارة بنك. كانت جاذبية ناصر في الشعراء البيضاء التي تلقي بشخص ناضج مهموم بالبلد، وكانت جاذبية السادات في صلعته السمراء التي تلقي بشخص داهية. لكن قل لي: هل المصريون من النوع الذي يتقبل بسهولة رجالًا تجاوز الثمانين من دون شعرة بيضاء واحدة على الرغم من أنه مشيّب الجميع؟

لم يعرف الرئيس السابق طريق الكاريزما الشعبية، لأنه كان طياراً يتحدى الجاذبية الأرضية فقدتها، طياراً يُحلق في روى الناس في حجمهم الطبيعي، ثم يراهم أفراماً، ومع مرور الوقت يصبح «مش شايفهم أصلًا».

## هامش ٢

حكى لي أحد أقارب الشيخ مصطفى إسماعيل، الذي كان يعيش خارج مصر، أنه عقب عودته واستقراره في مصر لاحظ أن الراديو لا يذيع تسجيلات الشيخ مصطفى الذي توفي قبل عام، وأن التلاوات تتناشر في كل المحطات بأصوات كل المقرئين إلا الشيخ مصطفى إسماعيل، فطلب زيارة أحد المسؤولين الإذاعيين الذي وعده بحل المشكلة التي ربما تكون تقنية.

ولم يحدث شيء، وببدأ المسؤول يتهرب من الاتصالات.

لجأ قريب الشيخ مصطفى إلى أحد رجالي المخابرات، الذي أرسل معاونيه إلى مبنى الإذاعة للتحقيق في الأمر، واكتشفوا أن أحد الموظفين جمع أشرطة الشيخ مصطفى إسماعيل ونقلها إلى موسيقار كبير، وأنه يحتفظ بها في منزله.

كان اقتحام منزل هذا الموسيقار وقتها أمراً يجلب المشاكل، فاتصل به قريب الشيخ مصطفى وواجهه بالموضوع في التلفون، فوجّه إليه الموسيقار دعوة للزيارة، وفي بيته لم ينكر الاتهام، ولكن برره بأن الشيخ مصطفى كان قامة موسيقية كبيرة، وأنه

أراد أن ينفرد بقراءات الشيخ مصطفى ليستمتع بها ويتعلم منها  
بعيداً عن تشويش الإذاعات وتدني جودة البث، وأن الأشرطة  
في طريقها إلى الإذاعة. واعتبر قريب الشيخ مصطفى تصرف  
الموسيقار الذي تقدمت به السن محاولة لاصطياد نغمات  
جديدة من مكان غير مألوف!

## هل كان المصريون أكثر «نصاحة» فيما مضى؟

أمرٌ بحالة خليط من القلق والكآبة. قرأت نصيحة في أحد كتب التنمية البشرية تنصح الواحد إذا مر بمثل هذه الحالة أن يدلل نفسه قليلاً بشراء ما قد يسعدها ويلطف الأجواء. نصيحة ممتازة، لكنها تحتاج إلى «سبونسر». تذكرت محلاً للساعات في أحد المولات القرية، يُقدم خدمة تغيير معصم الساعة، وعنه تشيكيلة بألوان مبهجة لمحتها عنده قبل فترة. قلت لنفسي عملية سهلة ونظيفة وقليلة التكاليف، وبها تدليل للنفس، مع قرار بشراء المعصم الجلدي العريض ذي اللون الأحمر.

في المول، وخلال المسافة من بوابة الدخول إلى محل الساعات، مررت بالكثير من المحلات، وكنت أتأمل الأسعار الجديدة، وشعرت بانزعاج رفع ضغطي، ورفع

مستوى زنة الأذن التي تزورني كل قليل. كانت الزيادات مستفزة، ثم تذكرت كائن «الجمل»، وحسدته بشدة لأن الله خلقه بدون مراراة، ولذلك يعيش في نعيم لأنه ليس لديه ما يخاف عليه من «الفقع».

دخلت المول أداوي نفسي بـ«الشوبينج»، وخرجت وقد ازدادت توتري، ولم أشتري «الأوستيك» الأحمر.

«الشوبينج» علاج زائف، يستخدمه البعض لمداواة الكآبة، ثم سرعان ما يعيدهم هذا العلاج المؤقت إلى النقطة نفسها. هناك ما يُسمى «سلوك ديدرو» الذي يقول: «شراء أي شيء جديد يخلق حلقة مفرغة من الاستهلاك تضطرك إلى عمليات شراء أخرى لاحقة». الفستان الجديد الذي داوى جرحة العاطفي يقول «ديدرو» إنه سيحتاج إلى حذاء ثم قرطين ثم شنطة، وعندما لا تتوفر الإمكانية تعود الكآبة.

«الشوبينج» غدّار، وهذه الأموال المتاحة من الأفضل إدخارها لأن الأمور لا تبقى على حالها كثيراً. عندك كمال الدين حسين عضو مجلس قيادة الثورة، كان يشغل في وقت واحد أكثر من عشرة مناصب، من بينها: وزير الإدارة المحلية، ورئيس المجلس الأعلى للفنون والآداب، ونقيب المعلمين، ورئيس اللجنة الأولمبية المصرية، ورئيس مركز

البحوث النفسية، ورئيس لجنة الطاقة الذرية... ثم عُزل عنها جمِيعاً، وحدَّدت إقامته.

وعندك الفاتورة التي تحملك كمستهلك، ضرائب المبيعات والقيمة المضافة والخدمة، كانت قبل سنوات تذهب بمن حررها إلى السجن، فقد كان قانون مصلحة الضرائب واضحاً، «يمْنَع منعاً باتاً تحميل المشتري أي ضرائب»، ونشر في الصحف، وبدأ العمل به يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠<sup>(١)</sup>.

وعندك سوهاج المدينة التي أنتمي إليها، شهدت أول مباراة كرة قدم رسمية غطت أحدها جريدة «الأهرام» عام ١٩٠٣، وكانت بين تلاميذ مدرسة «إسنا» وتلاميذ مدرسة «سوهاج»، بحضور المفتش الإنجليزي بالتعليم، وسجلت «الأهرام» إعجابها بالتنظيم وارتداء كل فريق ملابس خاصة تميزه عن الفريق الآخر، وتحدثت عن مهارات الفريق الغريبة، والقدرة على الكر والفر. هذه البداية التاريخية لم يحدث بعدها وحتى يومنا هذا أن ظهر لسوهاج فريق في الدوري الممتاز إلا مرّة واحدة جاءت مخيّبة للأمال. كان صاحب قرار اعتبار رأس السنة الهجرية إجازة رسمية هو رئيس الوزراء القبطي بطرس باشا غالى، وكان من مصادر فخر المصريين المعاصرین وقتها وجود رئيس حكومة بهذه

الروح. لكن الأمور سرعان ما تبدّلت، فترأس بطرس غالى محكمة «واقعة دنشواي» وحكم بالإعدام على أربعة مصرىين، ثم تبنى مشروع قرار لمد امتياز قناة السويس للمحتل حتى عام ٢٠٠٨، وظلت قراراته تتدهور، حتى تبدّلت به الحال من أول رئيس حكومة مصرى قبطي ذي شعبية، إلى أول مسؤول مصرى يتم اغتياله<sup>(٢)</sup>، بعد أن أطلق عليه إبراهيم الورданى الرصاص، وانتقلت إليه بعدها المحبة التي كانت تحيط بالباشا، وغنى المصريون يوم إعدام الوردانى:

قولوا العين الشمس ما تحماشى

أحسن غزال البر صابح ماشى

وعندك مثلًا أخلاق المصريين، يمكنك أن تلمس تبدّلها مقارنة برأي «ابن ظهيرة» فيها في منتصف القرن قبل الماضي، قائلاً: «من أجمل ما فيهم عدم اعتراضهم على الناس، فلا ينكرون عليهم، ولا يحسدونهم، ويسلمون لكل أحد حاله، العالم لعلمه، والعاصي لمعصيته، وكل ذي صنعة بصنعته، فلا يلتفت أحد إلى أحد، ولا يلومه لوقوعه في معصية». وكانت صافية زغلول (أم المصريين) إذا أرادت أن تمدح حُسن أخلاق فتاة ما تقول: «إنها لا تشرب القهوة، ولا تُدخن، ولا تضع ساقاً على ساق عند الجلوس»، وهذا طبعاً يسبق «بوز البطة» بسنوات طويلة. فضع في بالك أن الدنيا قلابة.

البنطلون المحزق (حزأ الشيء بمعنى طارده وساقه إلى ركن) الذي أسكرك في الفاترينة هو خمر مغشوش، وربما يأتي وقت يندم الواحد على النقود التي أهدرها في هذا الوهم، عندما تدھسه حقيقة الظروف. يقول المؤرخ البغدادي عن مجاعة الشدة المستنصرية: «ارتقت الأسعار، وأقحطت البلاد، وهرج أهلها من خوف الجوع، حتى إنهم أكلوا الكلاب وصغار بني آدم، وأحرق في أيام قليلة ثلاثين امرأة أقرت كلّ منها أنها أكلت جماعة، وباع المستنصر كل ما في قصره وجلس على الحصیر، وطلع القراء الجوعى إلى القلعة وصاحوا ضد الجوع، فلم يرد أحد، فرجموها بال أحجار، ونزل وزير المستنصر على حمار إلى الناس ليهدئهم فأكلوا الحمار ثم أكلوا جنوده».

هناك أوقات يُعتبر لم الإيد فيها فريضة، وهو ليس عيباً. قامت به ثورة يوليو في بداياتها، فسحبـت السيارات الفارهة، وأمرت لكل وزير بسيارة شعبية صغيرة، وألغـت مصيف الحكومة تقليلـاً للنفقات (كانت الحكومة تنتقل بكامل هيئتها إلى الإسكندرية في الصيف). (الكل بيتنق). وكان الزعيم مصطفى كامل يتاجر في «رُتب البكوية» لأنـه كان في حاجة إلى تمويل نضالـه (كان السعر من ٢٥٠ إلى ٥٠٠ جنيه حسب مرتبـة البكوية). وكان ممن يبيعـونها أيضاً أمـيرـ الشـعـراء

أحمد شوقي، وعندما اعترض أحدهم لدى الخديو عباس على الفكرة قال: «أنا لي فئة خاصة يبحثون عن مستحقي البكوية، ويعرضون عليَّ بعضًا منهم، وأنا اختار من أمنحه». وبالمناسبة، كان تنصيب شوقي أميرًا للشعراء برعاية الزعيم سعد زغلول بعد انضمام شوقي للهيئة الوفدية. وكان العقاد هو أول المعترضين على منح شوقي هذا اللقب، وكتب في جريدة البلاغ: «إن الشعر ليس إمارة يُعينَ أميرها، بل جمهورية يُ منتخب رئيسها».

وكان من المفترض أن تشتهر مصر بزراعة القطن والبطاطس بسبب جودة وغزارة المحصولين، إلا أن الباشوات أصحاب الأراضي قرروا، بعد الكساد الذي ضرب العالم سنة ١٩٠٧، الاكتفاء بزراعة القطن فقط، لأن الفلاحين كانوا يأكلون البطاطس التي زرعوها، وتم الاكتفاء بالقطن لأن هضمها عسر.

الزنقة واردة، وقد تدفعك إلى الأعاجيب. عندما كسد كل شيء عقب الحرب العالمية الأولى، وهجر الناس المحلات التي أفلست، طردت العمالة، فظهر النشالون، بل إنهم أتوا جماعات من أوروبا لينشلوا في مصر، وعلقت المواصلات العامة لافتات «احتدرس من النشالين»، فكتب لهم أحد الصحفيين: «وما شكلهم حتى نحتدرس منهم؟». هذا مصير

أصحاب التجارة، فما بالك بغيرهم، أو كما يُقال: «إذا كانت العمامات تشتكي الفسا، إيش تعمل الألبسة؟».

«الدنيا مراية تُورّيها تُورّيك»، فلا «تُورّيها» شخصاً يعالج أحزانه عند الكاشير، لأنها ستعيدك إلى هذا الطيب. الظروف الحالية جعلت كل واحد يبدو في نظر الآخرين «زبونا». استدرجك سهل لأن للتسويق أبالسة، ومن يجدك جنيهًا فلن يفرط فيك. المصريون كانوا «أنصح» كثيراً فيما مضى. حتى بداية القرن الثامن عشر كان الناس يدفعون للفنانين (غناءً، تمثيلاً هزلياً، أراجوزاً) بعد انتهاء العرض وتقديرهم لما شاهدوه وما يستحقه. كان الدفع بعد الفُرجة وليس قبلها. وكان «المهر» حقاً خالصاً للمرأة - بشهادة علماء الحملة الفرنسية - تقبضه كاملاً في يدها على عتبة باب الزوجية قبل أن تخطو داخل البيت، وليس لأحد أن يسألها عنه. تغيرت حتى نظرة المصريين إلى النقود، فهم مؤخرًا يسمون الجندي «جندي». يُقال مثلاً: «باكو الشاي بعشرين جندي». وربما منحوه هذا اللقب الشعبي لأنهم صاروا يقفون أمامه «انتباه». لكن في الخمسينيات كان الاسم الشعبي الشائع للجنديات: «سلامات». يُقال مثلاً: «علبة الشاي بخمسة سلامات». كانوا وقتها ينظرون إلى النقود على أنها طريقة لتبادل التحية مع الكوكب. كان هناك تصالح مع الأموال المتاحة في حوزة

أي شخص. وهي تسمية سرعان ما اندثرت، وعاد المصريون إلى استخدام الكلمة «جنيه»، وهي مشتقة من الكلمة «جن»، وجاء هذا الاستقاك من صعوبة الإمساك بكليهما.

«الشوبينج» مُسْكِن، لكن أعراضه الجانبية ورطة. والأموال نعمة، لكنك لا تعرف دائمًا عواقب ما تشتريه. وسألوا يحيى حقي في الثمانينيات عما يُزعجه هذه الأيام، فقال: «يزعجي أنهم يبيعون السلاح للطبيين»، وسيفسد هذا حياتهم». وكان يشير ناحية أفريقيا.

ـ «الشوبينج» سيفيدك في علاج كآبك في حالة واحدة: إذا استخدمته في شراء ما قد يعالج كآبة أشخاص آخرين.

---

#### هامش ١

يوم ٢٨ سبتمبر،اليوم الأخير في حكم جمال عبد الناصر، نشرت صحيفة «الأهرام» بدء العمل بتنفيذ قرار إلزام الملاك بتركيب مصاعد في العمارات التي تزيد على ٥ طوابق. ووصلت إلى مصر ١٦ ألف أنبوبة بوتاجاز منحة من تشيكوسلوفاكيا. ونشرت الجمعية التعاونية للبتروـلـ بعد تكرار حوادث الاختناقـ إرشادات مكثفة تطلب من المصريين الكشف الدوري الشهري على مدخنة السخان، وضرورة إغلاق الأنبوبة عقب الانتهاء من

استخدام الماء الساخن. وكانت أم كلثوم تضع اللمسات النهائية للأغنية الجديدة التي ستُقدمها في حفلها التالي: «القلب يعشق كل جميل». واتخذ مجلس إدارة النادي الأهلي قراراً بتصعيد ٤ لاعبين من فريق تحت ٢٠ سنة للفريق الأول، وهم: حسن حمدي، عبد العزيز عبد الشافي، صفوتو عبد الحليم، فتحي مبروك. وفي الوقت الذي كانت تشهد فيه محافظة الشرقية احتفالاً بإعادة افتتاح مدرسة «شهداء ٨ أبريل»، وتستقبل تلاميذ مدرسة «بحر البقر» الناجين من الحادث القديم، كانت مدينة طوخ تحتفل بإعدام ٣٠٠ ختم تحمل توقيع ٣٠٠ فلاح تم محو أميتهن ولم يعودوا بحاجة إلى «الختم». وفي الوقت الذي قرر فيه المطرب الشهير عبده السروجي اعتزال الغناء بعد توقف الطلب عليه، واحتفل حسبيما غطت الجريدة بافتتاح محل للتجارة في العتبة، كان قرار وجيه أباذهلة محافظ القاهرة بتقديم قطعة أرض بإيجار رمزي لوزارة الثقافة لتقيم عليها «بيت الممثل»، وهو بيت لاستضافة العجائز من الممثلين بدون مقابل في رعاية طبيب مقيم و٣ ممرضات، بشرط أن يكون الفنان عضو نقابة الممثلين وملتزماً بدفع الاشتراكات.

## هامش ٢

كان الاغتيال السياسي الأكثر شهرة هو اغتيال الرئيس السادات طبعاً. وهناك حكاية غريبة متداولة عن السيناريyo الرباني، تفصيلة صغيرة لولاهَا كان يمكن التعامل بشكل أسرع مع العربة التي

توقفت أمام المنصة ونزل منها قتلة السادات: قبل أن توقف هذه العربية بقليل، تقدّم قائد طابور المدفعية لتحية المنصة، وحوله عدد من راكبي الدراجات النارية، وفجأة توقفت إحدى الدّراجات بعد أن أصيبت بعطل مفاجئ، ونزل قائدتها وراح يدفعها أمامه، لكن سرعان ما انزلقت قدمه، ووقع على الأرض، والدّرجة فوقه، فتدخل جندي كان واقفاً إلى جوار المنصة، وأسعفه بقليل من الماء. لذلك عندما توقفت العربية التي تحمل القتلة أمام المنصة، تعامل الجميع مع الواقع باعتبارها عطلاً جديداً أصاب عربةً هذه المرة بدلاً من «الموتوسيكل»، فكان الاهتمام بتوقفها بارداً، حتى بدأ إطلاق النار فارتبت الجميع.

من التفاصيل القدرية في هذا الحادث أيضاً، حفيد السادات الذي كان يقول عنه «دلوعة الأسرة» و«الحاكم الحقيقي للبيت»، وكان السادات يصطحبه معه في سيارته فيقف الحفيد في الشباك يرفع يديه ويُحيي الجماهير المتراصدة على الجانبين، وهو مؤمن تماماً أنها خرجت لتحيته هو وليس لتحية السادات. كان السادات يحمل حفيده يوم الحادث، وفجأة طلب من أحد ضباط الحراسة اصطحاب الولد إلى المكان الذي تجلس فيه والدته مع مدعوات الاحتفال، وبعدها مباشرةً وقع الحادث، حسب رواية المذيع خيري حسن الذي كان يغطي الاحتفال وقتها، والذي قال أيضاً إنه اضطر مع زميل له للهرب والزحف على بطونهم من موقع الحادث إلى جامعة الأزهر.

## ما الذي يدفع الملك فاروق لصداقة «كهربائي»؟

يُينما أُقلّب صفحات كتاب «وصف مصر»، إذ بـ«حمو بيكا» يظهر أمامي، وأكاد أسمع في الخلفية إيقاع أغانيات المهرجانات الممغنط. الموضوع قديم، استمع علماء الحملة الفرنسية إلى الموسيقى السائدة في فترة وجودهم، وسجلوا انطباعهم عنها قائلين: «الموسيقى السائدة في هذا البلد ضوضاء منفرة ومنافية للذوق السليم في الآذان، ومع ذلك فإن لهذه الموسيقى المليئة بالعيوب قدرة عجيبة على إدخال السعادة إلى الناس، وقد شاهدنا امرأة يغمى عليها من فرط الانتشاء، وهي تستمع إلى صوت أحش لأحد المطربين، صوت كنا نراه نحن صوتاً عاجزاً يبعث على التفزز».

قد تعتقد أنك اخترت مطربك المفضل، والحقيقة

أن المطرب هو الذي اختارك، هو صاحب أول قرار في هذه العلاقة، هو الذي اختار ما سيغنيه وبناء عليه اختار مستمعيه.

خلق الغناء لكي نقول «الله».

الغناء سحر، وهو يتحدث بالنيابة عنك. غنى الناس في جنازة عبد الناصر، وهو الزعيم، ولم يغنو في جنازة أم كلثوم، وهي المطربة أصلاً. حركت وفاة ناصر قلوبهم فخرجت «عدودة» تلقائية، يُودع بها أصحابها الراحل، ويواسون أنفسهم. لكن أم كلثوم لم ترك للناس ثغرة ينفذون منها إلى لحن يقول شيئاً جديداً، فقد استهلكت السنت كل الموسيقى قبل أن ترحل.

يمكن للواحد أن يُقيّم حالة الآخرين النفسية بقوة الأثر الذي يتركه الغناء في مشاعرهم، ويكون الكتاب واقعاً عندما يتوقف تأثير الغناء بالكائن وتنقطع علاقته به. هناك حكاية عن الحاج فهمي الفيشاوي، صاحب المقهى الشهير الذي قال عنه نجيب محفوظ: «هذا المقهى الصغير المزين بالأرابيسك يُنمّي الخيال، و يجعلك تفكّر في تعاقب العصور». كان للحاج فهمي مقعد ثابت إلى جوار قفص عصافير لا تتوقف عن الغناء والملائكة المتبادلة مع الحاج فهمي الذي لا يتوقف عن إطعامها وتدعيلها،

ثم صدر قرار إزالة للمقهى من المحافظ في الستينيات، وحاول كثيرون ومن بينهم نجيب محفوظ مقاومة القرار دون جدوى. تمت الإزالة، وبعد يومين مات الحاج فهمي في مكانه داخل المقهى، وبعدها توافت العصافير عن الغناء ثم انقطعت عن الأكل والشرب، وبدأت تموت واحدة تلو الأخرى.

الطيور وحدها التي تقدم نفس نوع الموسيقى والغناء منذ خلقت، ولم تتطور جملة لحنية واحدة، ومع ذلك لم يتوقف نجاحها حتى اللحظة.

عندما رجع السادات من سفرية مباحثات «كامب ديفيد» اتصل بمحمد عبد الوهاب، طالباً منه أن يُقدم سلاماً وطنياً جديداً بدلاً من «والله زمان يا سلاحي»، لن يصح أن نغنى للسلام ونحن على أبواب معاهدة سلام. عشر عبد الوهاب على ضالته في نشيد سيد درويش «بلادي بلادي» الذي كان حجر أساس ثورة ١٩١٩، وقرر أن يعيد توزيعه، واضعاً ملاحظات الرئيس في باله. سلام وطني بتوجيهات أمنية. كان أول ما فعله موسيقار الأجيال أن نزع عن النشيد دسم الثورية، صانعاً منه نسخة تليق بدولة وقَّعت معاهدة سلام مع عدوها التاريخي. قامت فكرة عبد الوهاب على تهميد حماس النشيد، وكان

ناجحاً، حتى إن الدولة جعلت النشيد الجديد لسنوات طويلة مفتاح المصريين إلى النوم، فكان التلفزيون يختتم به إرسالة، معلنًا انتهاء فترة السهرة وضرورة التوجه إلى الفراش «عشان ورانا شغل بكرة». دولة كانت تُنهي يوم المواطن بالسلام الجمهوري، كانت تعرف جيدًا أن رتابة التوزيع ستسحب الحماس من دم المواطن وترجعهوله مخدة قطن، وهذا قمة الإعجاز الموسيقي، بدليل أن الدولة عندما توقفت عن إنتهاء الإرسال بالسلام الوطني أصبحت تُنير المواطنين بصوت فاروق شوشة يقرأ القصائد التي تبدأ كلها بكلمة «عيناكِ» في «أوتار الليل».

بعدها تدهور الغناء الذي يعبر عن علاقة الواحد بيده، حتى إنني لا أفهم ما السر في كون معظمها الآن أغانيات إيقاعية، وأيهما الذي سبق الآخر، الرقص أمام اللجان أم الأغانيات الراقصة. يتظاهر الواحد أيام الاحتفال بذكرى أكتوبر<sup>(١)</sup> أو ثورة يوليو إلى جوار الراديو ليستمع إلى رصبة أغانيات يجعلك أثرها تجدد علاقتك بالبلد، لأنها كانت تعبر عن صُناعها. لكنها الآن لا تخلي من التلفيق وأكل العيش، ويدور معظمها حول معانٍ مستعملة، محمّلة بتوجيهات ولا مشاعر، ربما هي ممتعة، لكنها كما يقول

«فيكتور جارا»<sup>(٢)</sup>: «الأغاني الرديئة هي التي تمتعنالكنها ترکنا فارغين».

الحياة صعبة، والكل «بيقاوح»، والأغاني الحلوة تعينك على «المقاوحة»، و«المكاوحة» هي المجاهرة بالخصوصية، مثل خصومة ثورة يوليو مع فاروق. يحكى صاحب المطعم الذي مات فيه الملك، عن آخر وجبة: «طبق اسباجيتي بالمحار يكفي ٣ أشخاص، قطعة ستيك «فيورنتينا» تكفي ٤ أشخاص، والتحلية فاكهة ونصف تورته». كان يقاوم أحزانه بال الطعام. فاروق الذي خرج شاباً من صلاة الجمعة في أحد مساجد لندن، فوجد مظاهرة تطالب به خليفة للمسلمين، يتضرر المعونة لينفقها في مطاعم إيطاليا.

الأموال التي سلمها فاروق لسكرتيره «بوللي» ليضعها في بنوك أوروبا طمع فيها الأخير. «بوللي» كهربائي في القصر أصبح صديق الملك ومنسق سهراته، وكان فاروق يحبه، حتى إنه بكى عليه عند خروجه من مصر لأنه اختفى. تم القبض على «بوللي» بعد الثورة، وفشلوا في الإمساك بأي دليل ضده في كل ما كان يجري من فساد تحت قيادته، لكن تمت محاكمته وحبسه بعدما عثروا على حشيش بكمية كبيرة في مكتب الملك الخاص،

وقالوا إن «بوللي» استقدمه للسهرات لأن الملك لم يكن مدخناً.

لكن، ما الذي يدفع ملكاً لعقد صداقه مع كهربائي؟ يقول صلاح شعراوي (ضابط في الحرس الملكي وسفير سابق): «في بداية الأربعينيات، وخوفاً على فاروق الشاب من الانحراف بسبب صداقته مع رجال وشيوخ العائلة المالكة، أتوا له بمجموعة شباب مصريين في مثل عمره تقريرياً، متعلمين، ولديهم قدر من النضج، ومن عائلات متميزة، ليصبحوا شلته. لكن يبدو أن النتيجة كانت عكسية. بعد اكتشاف فاروق أن مستوى هذه المجموعة أعلى منه في العلم والثقافة والنضج والحكم على الأمور، أحس بأفضليتهم وهو الملك «برضو يعني»، فابتعد عنهم، ولم يكن أمامه سوى الاندماج مع من هم أقل، ولم يكن هناك غير حاشية الخدم: «بوللي» كهربائي القصر، و«كافاتشي» مدرب الكلاب، و«جارو» حلاقه الخاص».

في المنفى تبقى مع فاروق مبلغ «انتصب عليه فيه» من الطلاينة في مشروعات وهمية، وعندما علم الملك سعود بالمسألة خصّص لفاروق شهرية ٣٠ ألف إسترليني،

أنفقها فاروق في بحر الغدر متأملاً «شط الندالة المليان». وكانت هذه هي نهاية أسرة محمد علي الذي يُقال عنه «باني مصر الحديثة». لكن الرافعي يقول: «موهاب المصريين ومقدّراتهم هي التي بنت اسم محمد علي»، وهو المعنى الذي جرى تمريره في أغنية وطنية لحليم تقول: «هندسها جمال وهنبنها»، ليحدد بدقة قيمة دور كل طرف.

سمعت أمي تدندن بهذه الكلمات عندما تمت إذاعة الأغنية ضمن فيلم وثائقي كان يعرضه التلفزيون عن ثورة يوليو، وعندما ظهرت صورة لناريمان مع زوجها الملك فاروق قالت أمي: «ناريمان كان وشها وحش على فاروق، اتجوزها وقامت الثورة»، فقال أبي بدون تفكير: «كان وشها وحش علينا كلنا». قلت ربما يكون أبي في حالة مزاجية سيئة، فقد سبق الكلام عن ناريمان كلام عن الترامات البيت، وعرف أنه على وشك أن «يكع» مبلغًا، و«كع» معناها «جبن المرء وضعف»، يعني ضعف عن الفصال في قيمة شيء انبهر بجماله فـ«كع» فيه، أو جبن عن رفض الدفع خوفاً من العقوبة (مثل الأموال التي نكعها في: فاتورة الكهرباء، الضريبة العقارية، الضريبة الموحدة، القيمة المضافة، تنمية موارد الدولة، الكارتة). الظروف

صعبه، وقالها سيد درويش قبل مائة عام: «إحنا في بلد  
تجوع فيه العباقة»، وهو ما لا ينطبق على صُناع الأغاني  
الوطنية حالياً.

---

#### هامش ١

مرة في إحدى إجازات ذكرى أكتوبر كنت أنتقل بين المحطات بحثاً عن أيّ من أغنيات هذا اليوم التي تعلقت بها منذ الطفولة (محافظتي الشرقية، بحبك يا بلادي، على الربابة، أم البطل، سميّنا وعدينا)، فوجدت فيلم «أغنية على الممر» في بدايته، فجلست أنتظر أغنيته الخالدة «تعيشي يا ضحكة يا مصر». لم يمر بيالي أن أجده بطل الفيلم يتصل بي تلفونياً. كان الفنان الكبير محمود ياسين أمامي على الشاشة ومعي على الموبايل في الوقت نفسه. عرفت بعد أن قال لي أنا فلان، أنه بصدّد مناقشي في مقال كتبته قبل يومين عن أفلام أكتوبر. قلت ربما انزعج من ملاحظة ساخرة على ما قدّمه السينما المصرية من أفلام عن الحرب، بالذات عندما قلت إن ياسين شارك في سبعة أفلام عن الحرب بذقن لامعة وسوانح كاملة ولم تُصبِّه طلقة واحدة.

لكن الفنان الكبير كان كبيراً حتى في أسلوب نقاشه، وفي

طريقة عرضه لوجهة نظره. حكى لي الفنان الكبير كيف كان تصوير هذه الأفلام مرهقاً وضخماً في الوقت نفسه، مما تطلب منه البقاء على الجبهة أكثر من عام تحت إمارة مخرجين كبار، بينهم مخرجون إيطاليون متخصصون في تنفيذ المعارك. حكى لي عن الجنود الحقيقيين الذين كانوا يتعلّمون منهم كيف دارت الحرب. حكى لي كيف استحال على الممثلين تسلق خط بارليف لتصوير هذا المشهد، على الرغم من أن الجندي العادي كان يتسلقه في ثوانٍ أمامهم ليعلّمهم الأمر. حكى لي عن رفقة أسماء كبيرة من لواءات الجيش كانت تُوجّههم وتُعدل عليهم في أثناء العمل، ودقة اهتمامهم بالتفاصيل. كانت قصصه ممتعة ومشرفة بشكل جعلني أراجع نفسي فيما كتبته، وأسأله إن كان صادف في المقال ما قد يفسد فخره بهذا الإنجاز، فرفض بكل أدب أن يُعلّق على ما ضايقه، وإن كان بادياً أنه يرى أن هذه الأفلام ربما من الظلم أن يتم النظر إليها بعين ساخرة. قال لي إن اللقطات التي تم تصويرها مثلًا في «الرصاصة لا تزال في جنبي» هي اللقطات المستخدمة من يومها وحتى الآن في صناعة كل الكليبات والأغاني الوطنية والتقارير ونشرات الأخبار والأفلام التسجيلية. قال إن جيله كان مخلصاً لهذه الأعمال دون توجيه من أحد، أو أي تكليف من جهة ما، وإن جيله فخور بها، ثم سألني ضاحكاً: «إنتو بقى عملتوا إيه؟». كانت مkalمة للذكرى، أنهاها الفنان الكبير بلاحظته الذكية التي جعلتني أضحك ملء قلبي عندما قال: «وبعددين إنت

قلت إنني اشتراك في سبعة أفلام عن الحرب وما حصلّيش أي إصابة... إيه رأيك بقى إنهم في فيلم «الوفاء العظيم» قطعولي رجلي!».

## هامش ٢

«فيكتور جارا» مطرب كان يغني للحرية في شيلي عام ١٩٧٣، فقتلته رجال الجنرال «بيونشيه». لم يفكر في الهرب ساعة القبض عليه. يقولون «ساعة القضا يعمى البصر»، وأنا أراها ميزة، فعمى البصر ساعتها يحميك من فذلكة قد تعقد الأمور، فذلكة تعني المُحمل دون تفصيل (تفذلك الرجل يعني أخذ الأمور «بالبركة»). عمي «جارا» عن الهرب فتحول إلى أسطورة ورمز للفن والحرية. طاردت زوجته قاتلية لفترة طويلة، حتى تمت محاكمة من تبقى منهم على قيد الحياة، وحُكم عليهم بالسجن بعد أربعين عاماً.

أين كانت تُبَاع تذاكر حفل أم كلثوم  
الذى أعلناه أنه سيكون الخميس ٨ يونيو  
في تل أبيب؟

بعد عزوبيّة طويلة قرر صديقي الزواج. سأله عن  
تغيير الخطط المفاجئ. قال: «كنت أهرب من الزواج  
حرصاً على حرتي، ثم اكتشفت أنني لم أفعل بها شيئاً،  
كنت عبداً لها بلا مقابل، ثم أدركت مع الوقت أن الشعور  
بالحرية لا علاقة له بالعزوبية أو الزواج، ولكن بأن تأخذ  
تجربة الحياة بجدية».

ذَكَرَنِي كلامه بصلاح جاهين وهو يحكى عن سبب  
زواجـه قائلاً إنه كان يعمل بالفن، يكتب ويرسم، لكنه  
لم يكن يُكمل عملاً، ولم يكن يفي بالتزاماته المهنية  
بانتظام، فأزعجه الأمر وكاد أن يفسد حياته. وفسره  
أصدقاؤه بأن هذا راجع إلى عدم ارتباطه بأي مسؤوليات،

وأن الزواج وتكوين أسرة سيُغير كل شيء، وسيجعله يتعامل مع مستقبله بحسّه، واشترى جاهين الفكرة من الأصدقاء، واكتشف مع الوقت صحتها.

الوقت يساعدك على وضع كل شيء في مكانه الصحيح. عند أول بث للإذاعة المصرية لم يعرف المذيع ماذا يقول، فكانت الجملة الأولى: «ألو آلو.. هنا الإذاعة». بدأت الإذاعة تابعة لوزارة المواصلات، فارتبت المهام. ونقلوها إلى وزارة الشؤون الاجتماعية، فظهر النشاز الإداري. ثم جعلتها الحكومة هيئة مستقلة. وكانت دار الأوبرا<sup>(١)</sup> تابعة لوزارة الأشغال المسئولة عن الكباري والمباني والسدود والطرق حتى استعادتها وزارة الثقافة. وكانت عند عبد الناصر تفصيلة عمل مهمة، يدخل عليه المسؤول ليشكوا أو يقترح أو يطلب، فيقول له ناصر اذهب وضع كل ما قلته على الورق وأراك غداً، يمنحك الوقت وفرصة عملية لمراجعة ما قاله.

تقول القاعدة إن «الوقت كالسيف، إن لم تقطعه قطعك». هناك معركة مجهولة تدور في الخفاء لا تعرف عنها شيئاً، والكلمة الأخيرة فيها للوقت. وكان الفلاحون قبل عدة عقود، ونظراً إلى ضعف الرعاية الصحية، يتظرون - لفترة محددة - وفاة من أنجبت حديثاً حسب قاعدة «الوالدة

قبرها مفتوح أربعين يوماً». وكان الوقت بطلًا في القضاء على واحدة من تفاصيل الحياة الزوجية في مصر، رصدها علماء الحملة الفرنسية، وهي أن الرجال لا ينامون إلى جوار زوجاتهم ويرون في ذلك إهانة. وتغير مع الوقت دور الملاجيء والإصلاحيات التي كان مصدر دخلها في بداية القرن الماضي هو بيع البناء الصغيرات أو تأجيرهن للعمل كـ«شغالات». واحتاجت أخطاء عبد الناصر إلى وقت حتى تتبادر وتكتشف له عن نفسها في صورة «نكسة».

الوقت قد يكشف جريمتك، وقد يكشف براءتك، مثل مذيع «صوت العرب» أحمد سعيد، الذي صار عنواناً لنكسة يونيو ببيانات: لقد أسقطنا ١٠٠ طائرة للعدو، وسندخل القدس عصراً، وفتحنا باب الحجز لحفل أم كلثوم في تل أبيب الخميس القادم. وهو الحفل الذي لم يلحق المسؤولون أن يطبعوا تذاكره، وبينوا أكشاكاً خشبية في الشوارع لبيعها، بعد أن احتلت إسرائيل سيناء بالكامل قبل موعد الحفل بثلاثة أيام. المذيع الذي انتهت أسطورته بعد أن كان شائعاً في معظم البلاد العربية أن يذهب المواطنون البسطاء إلى المحلات يطلبون نصاً «علبة أحمد سعيد»، يقصدون الراديو الذي يُطل منه صوت هذا الرجل. والحقيقة أن كل ما قاله كان بيانات عسكرية

تأتيه تباعاً من الشؤون المعنوية. انسحب الرجل، ورفض أن يدافع عن نفسه في ظروف قاسية تعيشها مصر.

بالمناسبة كانت «صوت العرب» سلاحاً مهماً لعبد الناصر، حتى في حرب التلقيح والتلسين. وقع خلاف بينه وبين الملك حسين ملك الأردن، فكانت «صوت العرب» تذيع عقب النشرة دائمًا أغنية شادية: «سونة يا سونسون جيتك أهو»، ووصلت الرسالة إلى الأردن، فبدأت إذاعتها عقب كل نشرة أخبار تقدم أغنية: «البوسطجية اشتكتوا من كتر مراسيلي»، بقصد معايرة عبد الناصر بأصله المتواضع ووالده الذي كان يعمل بوسطجيًا. فما كان من ناصر شديد الانتقام إلى طبقته إلا أن أصدر أمراً للإذاعة بأن تقدم عقب كل نشرة أخبار أغنية: «البوسطجية اشتكتوا»، لكن بعد أغنية «سونة يا سونسون». ساومت الدول الغربية عبد الناصر أكثر من مرّة بالمساعدات لوقف بث «صوت العرب». وكان الاحتلال الفرنسي في الجزائر يحتكر بيع أجهزة الراديو التي صُنعت تحت إشرافه، حتى لا تظهر في السوق أجهزة تستقبل إرسال «صوت العرب». وبعد ضرب الإذاعة في ١٩٥٦ انطلقت معظم الإذاعات في بقية الدول العربية تدعيمها (هنا صوت العرب من دمشق.. من بيروت.. من الخرطوم)، واستمر دورها

النضالي حتى بعد نكسة ١٩٦٧. وكان الإعلامي الكبير حلمي البلك، يُقدم وقتها برنامجاً اسمه «الشعب في سيناء»، كان ظاهره برنامجاً اجتماعياً يعالج شكاوى المواطنين، لكنه كان محملاً برسائل مخابراتية بالشفرة السرية للمقاتلين هناك.

الوقت هو أول ما يُنصح به لتكوين رأي سليم، وهو مانعاني منه حالياً، حيث إن الأغلبية مصابة بـ«سرعة قذف الرأي»، وهي حالة يمكن علاجها إذا عرفت سببها:

الأول: الجهل. أحياناً يقول الواحد رأيه قبل أن يكتمل الحدث الذي سيُقدم بخصوصه وجهة نظره. لم يمنح الحدث الوقت الكافي لاتضاح معالمه وتوباعه، ولم يمنح نفسه الوقت الكافي لمذاكرة الموضوع. يُقدم رأيه سريعاً وهو لا يمتلك ما يساعد عليه ذلك سوى أنه «عندة إنترنت في البيت».

الثاني: رغبة في أن تقول كلاماً يُعبر عن أشياء مدفونة بداخلك أكثر من تعبيره عن وجهة نظرك، كلاماً يُعبر عن «شعورك بالخوف، تأييد أعمى، كراهية عمياً، تصفيية حسابات، رغبة في التشويش أو التضليل، لفت الانتباه»، فتجري مدفوعاً بهذه المشاعر المتأججة، محاولاً إخמדها بتقديم رأيك، حتى تستطيع أن تستعيد توازنك بسرعة.

يقول الخواجة إن الوقت لديه طريقة رائعة لتوضيح الأشياء التي يجب أن نهتم بها. قبل سنوات كنت أهني العم

سيد حجاب<sup>(٢)</sup> على تركتبه لأحد المسلسلات، قائلاً إنه تر ناجح ومكسر الدنيا، فقال لي: «نصيحة، لا تقل عن شيء إنه ناجح قبل أن تمر عليه عشرون سنة». وهو اختبار إذا أجريته الآن فستفاجأ بطفوان من الأشباح يُطل من ذاكرتك. يستغرق القرار ثانيةً، ويحتاج تقييمه إلى وقت طويل، والأمر لا يتعلق بالحياة الشخصية فقط. عندما ظهر اختراع المناديل الورقية عام ١٩٠١ في سويسرا، احتار الناس في تقييمه، وقال عنه كثيرون وقتها إنه اختراع غير مهم، لكن مع الوقت صار تفصيلة كوكبية. واحتاجت مصانع اللبناني بعض الوقت حتى تستطيع أن ترفع من على العبوات تحذيراً ألمتها به الحكومة الأمريكية يقول: «يجفف اللعب وقد يجعل الأمعاء تلتتصق». وهناك شخص طيب اختراع ذات يوم «الفتارين»، ليمنحك الوقت الكافي لتفادي الندم، فالناس بطعها مرتبكة، والأمور تبدو ملتبسة معظم الوقت. عندك مثلاً جملة «ارفع إيدك لفوق»، يقولها اللص والشرطي، وإذا سمعتها من خلف ظهرك فستحتاج إلى بعض الوقت لتحديد هدف صاحبها.

هناك عدد ٢ خدعة بخصوص الوقت، يقع فيهما كثيرون. الخدعة الأولى هي اعتقادك أن الوقت يمر على الجميع ماعداك. كنت أستمع في مرّة أنا وصديق إلى أغنية جديدة

لمحمد منير. قال الصديق: «مش ده منير بتاع زمان!». قلت له: «وهل تعتقد أنك لا تزال الشخص نفسه الذي كان يستمع إلى منير «زمان»؟ الشخص الذي كان يستمع إلى منير، ويعني معه «شبابيك»، وهو يضع الوروكمان في أذنيه، ويمدد ساقيه تحت البطانية في غرفته الصغيرة وإلى جواره ورق درس الكيمياء، هل هو الشخص نفسه الذي يستمع إليه الآن وهو يرتدي كرافته الشغل في عز الحر، ونزل من بيته شايل هم أقسام حان موعد استحقاقها، ومراته مسمعاه كلمتين ناشفين، و«مزنوقة» ساعة ونصف على المحور في انتظار أن يصل إلى ميدان لبنان؟ لقد كبرت، وتغيرت قائمة الأشياء التي تلمس مشاعرك وتأثير فيك. أنت ومنير، كلاماً كما تغير، وتفرقت بكم سبل النغمات التي كانت تجمعكم «زمان».

الخدعة الثانية تكمن في اعتقادك الخاطئ أنك تمتلك منه الكثير.

---

#### هامش ١

في مقال لأستاذنا الكاتب الكبير صلاح حافظ، نُشر في الثمانينيات، يحكي أن دار الأوبرا كانت تتبع ذات يوم وزارة

الأشغال المسؤولة عن الكباري والمباني والسدود والطرق،  
ويقول إن منطق الحكومة وقتها أن الأوبراب مبني يحتاج إلى صيانة،  
أما المحتوى الذي يُقدمه المبني، والفن الذي يطرحه على الناس،  
فمسألة تخص الفنان والجمهور ولا شأن للحكومة بها.

وقال حافظ إنه يتمنى عودة هذا المنطق، بحيث يقتصر دور وزارة الثقافة على صيانة أدوات الثقافة، وتعبيد طرقها، وتطهير ترعها ومصارفها، الأمر الذي يجعلها وزارة «خدم الثقافة» لا وزارة «تحكم الثقافة».

وقال حافظ إنه نتيجة سيطرة الدولة على الثقافة حدث أن «بدلاً من أن يتدفق ضوء الثقافة ويغمر أجهزة الإدارة، تسللت أمراض الإدارة إلى جسم الثقافة».

وقال إن هذا لا يعني أن الثقافة لا تحتاج إلى قيادة. ولكن قيادة من؟ حددتهم صلاح حافظ بـ«الأساتذة الذين يسعى المثقفون إلى التعلم منهم، والرواد الذين يقتربون آفاقاً جديدة، والمبدعين الملهمين للأجيال».

هایش ۲

قبل عدة سنوات، قررت أن أكتب مقالاً عن عمّنا سيد حجاب وقيمة ما يزرعه داخل الوجдан المصري، واستشهدت ببعض ما كتبه، وكان من بينه أغانيات فيلم «البريء»، ويبدو أنني توقفت عنها أكثر من غيرها، ونشر المقال.

صباح يوم النشر رن هاتفني في الثامنة صباحاً، وكان واضحاً أنها مكالمةقادمة من إحدى مدن القناة. قبل أن ألقى تحية الصباح قال لي المتصل: «أنا عبد الرحمن الأبنودي». وفكرة أن يبدأ يومك بمكالمة من الأبنودي، تؤدي إلى احتجاس في الأحوال الصوتية مصحوبة بلعثمة عالية الصوت يغلب عليها الهذيان. أنهى الحال هذه الحالة سريعاً، ووجه الضربة القاضية قائلاً «إنت ما بتحبنيش» مصحوبة بتنويعات على هذه الفكرة، لأنني نسبت أغانيات فيلم «البريء» الرائعة التي كتبها الأبنودي، إلى سيد حجاب. حاولت عبثاً أن أقول له إن خطأ كاتب صغير السن لن يغيّر تاريخ شاعر كبير، وإن جهلي يمكن تجاوزه، خصوصاً أن هناك مساحة لإصلاح الخطأ، فقال الحال بامتعاض وهو ينهي المكالمة: «لما نشوف». بدأت المكالمة في الفراش، وعند انتهاءها وجدتني أقف بينطلون البيجامة أمام باب الشقة حيث الشبكة في أفضل أحوالها، بما يسمح لي ألا أفوّت أي كلمة مسح بها الحال كرامتي، فهي شرف عظيم.

وقفت أفكر كيف أفسدت صباح شاعر عظيم، ثم عظمت الغصة في قلبي إذ اكتشفت أن هذا الأحمق الواقف بينطلون البيجامة قد أفسد صباح شاعرين كبيرين، وليس صباح شاعر واحد. وربما كان الأبنودي سيغفر لي إذا نسبت أغانياته إلى شاعر آخر، لكن هل يغفر لي سيد حجاب أنني مدحته بأشعار شخص غيره؟ قلت لنفسي لا بد أن أتصل به لاعتذر له أيضاً عن هذا الخطأ. قبل أن يقرأه أو يخبره به أحد.

اتصلت به، وقلت اسمي. قال: «صباح الفل»، ثم قال: «ها؟ الأبنودي كلامك ولا لسه؟»، ثم ضحك، فوُقعت في الضحك لدرجة أنسنتني الكلام، وظللنا نضحك وأسمع صوت ضحكته ثم صوت كحته. قال: «كنت متأكد إنه مش هيعدّيها». قلت له: «بهدلني». قال: «ما تزعّلش، ده شاعر وبيغير على شغله». حتى لي عن تلك الحساسية الموجودة بينهما، نافياً أنه يعاني منها. وخفمت أنها حساسية لها علاقة بالمنافسة على محبة عمار الشريعي، شريك كلّ منهما في أهم مساحة يمكن أن يعبر من خلالها الشاعر عن قدراته وأفكاره وعن نفسه: ترات المسلسلات الكبيرة.

أنهيت المكالمة، وكانت هذه المرة أقف في الشرفة أستطع سماع صوت ضحكة عم سيد. بعدها رن الهاتف مرة أخرى، وتوقت أن المتصل بهذه المرة قد يكون عم أحمد فؤاد نجم «علشان تكمل»، لكنه كان عم سيد وقال: «نسيت أشكرك على المقال».

## لماذا قام محمد علي بتأميم البن؟

فقرة الإفطار في مكاتب الموظفين صباحاً يقف خلفها اللواء أحمد رشدي. عندما كان وزير الداخلية شكل قوات اسمها «شرطة الانضباط»، تطارد الموظفين المتسربين من عملهم، ومن لم يكن لديه تصريح بالخروج كان يتم التحفظ عليه حتى يتسلمه مديره. طاردت القوات الموظفين عند عربات الفول، فأصبحوا يحملون معهم الإفطار إلى مكاتبهم. رحل رشدي وبقي الخوف. انتقل طبق الفول إلى المكاتب حتى يلتهمه الموظفون «حتتك بتتك» بذهن رائق (و«حتتك بتتك» في القاموس الفرعوني تعني: اللحم والعظم). أحمد رشدي هو الذي اكتشف رأفت الهجان وقدمه إلى المخابرات. عندنا جاسوسة أخرى هي هبة سليم<sup>(١)</sup> بطلة «الصعود إلى الهاوية»، التي كانت تقضي وقتها في السجن بعد القبض عليها في التزيين

ولبس الباروکات، وكانت تمتلك منها ستّاً، وتعطير جسدها وملابسها بالبارفانات الباريسية، وكانت تتوقع أن تتدخل إسرائيل للإفراج عنها. وعقب تنفيذ حكم الإعدام، وب مجرد وصول الخبر إلى سجن النساء في القناطر الخيرية، قامت معركة حامية بين المسجونات والسبّاحات للفوز بالماكياج والباروکات التي تركتها الجاسوسة.

عالج الفن المأساة، وهناك من عالج بالتاريخ. ابن سينا مثلاً، اكتشف طريقة للعلاج باستخدام «المومياوات»<sup>(٢)</sup>، وقال إنها تعالج أمراضًا كثيرة، منها «الكُبة» (و«الكُبة»: الخُراج الكبير). والوصفة: تناول مسحوق المومياء مع خلطة من البردقوش والزعتر والشعير. ولاقي هذا العلاج شعبية في أوروبا بعد أن أقر به جراح البابا في القرن الثالث عشر، وصار الناس يجمعونها من الجبّانات لبيعها. مثلما جمع ضباط يوليوا «خواتم الزواج» من المواطنين لتقوية الجيش في نوفمبر ٥٢، بحملة تبنتها الصحف. وتبرعت زوجات مصر بأعز ما يملكن حبّاً في الوطن. وقد قال الإمام الشافعي: «من لم يتزوج مصرية لم يكتمل إحسانه». أي أنها تعلم أجدع رجل «العفة». وهي جملة مدح، لكنها من فئة المديح المسموم الذي يعاقب به الناجحون.

النجاح لا يُغتفر مثلما يقول الإنجليز، ولا بد أن ينالك

بعض العقاب عليه: هناك من يعتبر نجاحك خيانة، لأنك غيرت ولم يكونوا مستعدين. وطوال الوقت ينبهك الناس إلى خطورة السباحة ضد التيار، وهذا ليس خوفاً عليك، بل على أنفسهم، لأنك إذا سبحت ضد التيار ونجحت في ذلك فستحرجهم جميعاً. هناك من يتعامل مع الأمر بعقلانية، ويرى الهجوم على الناجحين ضريبة مقبولة. وهناك من يخطط للهجوم ونيته ضرب حماسك، ويقذف الصبية الصغار القطارات المسرعة لأنها تجاوزت السرعة المتفق عليها ضمناً.

رجع رفاعة الطهطاوي من بعثته إلى باريس نجماً، يحتفل به الجميع في كل مكان، لكن ظل هناك من يقف له على الواحدة من بعيد في انتظار فرصة، حتى ألف كتاباً اسمه «المرشد الأمين للبنات والبنين»، وعشر المتربصون بين سطور الكتاب على ما اعتبروه تحريضاً سيعزّج الخديو إسماعيل، الذي غضب بالفعل فقرر نقل الطهطاوي من موقعه كوزير للمعارف العمومية إلى موقع جديد كناظر لمدرسة الخرطوم الابتدائية، وظل هناك ثلاث سنوات، رجع بعدها يحكى عن معاركه مع البعض، والرعب الذي كان يصيبه من خراطيم الأفياض المنتشرة في شوارع الخرطوم.

انزعج محمد علي من النجاح الساحق الذي يحققه تجار البُن والدقاقون في بر مصر. لم تكن تجارتهم خاضعة للدولة، وكان المصريون متعلقين بالقهوة التي جعلوا لها مواعيد ثابتة في يومهم، وكانوا طوال اليوم رايحين جاين على الدقادين الذين يطحون الحبوب ويحمصونها، فرفع عليهم الضرائب، فرفعوا هم الأسعار، ولم ينزعج الناس وظلوا على عادتهم، فكان قرار محمد علي بـ«تأميم البُن»: الدولة فقط هي التي ستستورد الحبوب، وستمنح التجار حق الدّق والتحميص فقط مقابل نسبة للدولة.

من أكثر التفاصيل المزعجة في الشخص الناجح: «الإصرار». هذا النّفس الطويل يكرش نفس المتربيين، وهو بالنسبة شرط أساسى لا غنى عنه. قدم عبد الحليم حافظ أكثر من خمسين أغنية، ولم يترك مجالاً لم يطرقه: غنى تراتات برامج إذاعية (مثل البرنامج الفكاهي «ساعة لقلبك»)، وشارك في دوبلاج الأفلام الأجنبية، وظل يكافح دون أن يهتم أحد بما يفعله، حتى وصل إلى أغنية «صافيني مرّة»، وقال عنها: «دي الغنوة اللي خلت الناس تلتفت وتسأل مين اللي بيغبني ده». تعلم حليم من أصوله كفلاح مهارة الإصرار، وكان الفلاحون وقتها إذا تأخر

حمل الزوجة يعيدون مراسم الزواج كلها من أول وجديد،  
الخطبة وعقد القران والفرح مرّة واثنتين وثلاثًا، حتى  
يحدث الحمل.

جمعت الثورة خواتم الزواج في قرار مشابه لقرارات  
الحاكم بأمر الله، وهو الرجل الذي وصلنا تاريخه مشوهاً،  
فقد منع أكل الملوخية والجرجير والقرع بسبب انتشار  
الأوبئة، وأمر الناس أن يعملوا ليلاً ويناموا نهاراً لتظل  
القاهرة متيقظة بعد انتشار السرقات واحتلال الأمن.  
كان أول من وظّف عمال نظافة لكنس الأزقة والشوارع.  
استدعي ابن الهيثم من العراق ليبني خزانًا في أسوان  
ينظم تدفق مياه النيل، لكن «القاشية وقتها لم تكن معدن»  
(القاشية كلمة تركية معناها الصحة). الغى الحاكم بأمر الله  
الضرائب، وتدخلَ بنفسه لتحديد سعر كل سلعة، حمايةً  
للناس. وكان موكيه متقدّماً بلا حراسة، يركب فوق حماره،  
ويسير معه مساعد بورقة وقلم يكتب شكاوى الناس.  
وفي يوم خرج على حماره ولم يعد إلى الآن، اختفى  
وانتهت أسطورته بدون مقدمات. وفي نهاية القرن التاسع  
عشر ظهرت الهيضة (الكوليرا) في مصر، وصدرت  
جريدة الأهرام بتاريخ ٢٦ يوليو ١٨٨٢ وهي تحمل في  
صفحتها الأولى تعليمات الدكتور إبراهيم تقلا التي طالب

فيها المصريين - لمواجهة الوباء - أن يكون مأكلاً لهم خالياً من الخضراوات الناضجة (الخيار، الكوسة، الملوخية، الجرجير، إلخ)، وهي النصيحة نفسها التي قدّمها الحاكم بأمر الله قبل ثمانمائة عام، لكنها ظلت حتى اليوم محل سخرية.

---

#### هامش ١

عندما جرى تسليم الجاسوسة هبة سليم إلى مأمور السجن، رافقها تقرير أمني يقول إنها شخصية شديدة الخطورة، ومن المحتمل أن يقوم أحد أجهزة المخابرات الأجنبية بعملية لتحريرها. وهو ما جعل مأمور السجن ومعاونه يسقطان في حيرة عند وصول موعد تنفيذ حكم الإعدام، فهو يعني ضرورة عرض المتهمة على طبيبة السجن وقياس وزنها، فخافا أن تؤدي هذه الإجراءات إلى تسرب خبر تنفيذ الإعدام. ظلا يفتshan عن فكرة، حتى دخلت عليهما إحدى السجينات تطلب سرعة عرض المتهمة على طبيبة السجن لأنها تشعر بالألم غير محتملة، فصار الفحص سهلاً، وبقيت مسألة الوزن.

في غرفة الطبية كان هناك ميزان طبي، فجاءت الفكرة

للأمّور. وقف على الميزان قائلاً: «أراهن أنه خربان»، ثم طلب من معاونه أن يجربه، فأكّد الملاحظة، ثم التفت إلى هبة سليم متسائلاً: «يا هبة، إنت عارفة وزنك؟»، فقالت بكل ثقة: «نعم»، فطلب منها ألا تذكر الرقم وأن تجرب الميزان الذي يشكّون في صلاحيته. وقفت هبة على الميزان، وتأملت الرقم، ثم صدرت عنها شهقة كبيرة، فظن الضابطان أن هبة كشفت الخدعة، لكنها صاحت بفزع: «أنا زدت اتنين كيلو».

استيقظت الجاسوسة يوماً على أوامر بالتهيؤ للخروج مع الحراسة لمقابلة شخصية مهمة لا يعرفها الأمّور. خمّنت هبة أنها جيّهان السادات، لأنها قدّمت إلى الرئاسة التماساً للإفراج عنها، ولا بدّ أنه قبلَ تحت ضغوط دولية. خرجت هبة والابتسامة تعلو وجهها طوال الطريق، حتى توقف موكب الحراسة أمام حبل المشنقة.

## ٢ هامش

معجزة التحنيط كانت أبسط مما يتخيل الواحد. يملأون الحقن بزيت الصنوبر، ثم يحقنون به الجثة عبر فتحة الشرج حتى يمتليء جوفها تماماً، ويسلدون كل المنافذ حتى لا ينساب الزيت، ويملحون الجسد لمدة سبعين يوماً، وفي نهايتها يسحبون من الجوف الزيت الذي أدخلوه. وقوّة هذا الزيت عظيمة، حتى إنه يحرف معه الأحشاء التي تكون قد تحلّلت.

أما اللحم فيديه الملح المستخدم (ملح النطرون). وبذلك لا يبقى سوى الجلد والعظم. وبعدها يلفون الجسم كله بأشرطة من الكتان الشفاف مغطاة بالصمغ.

## كيف تعاملت مصر «الولادة» مع أزمة «البطن قلابة»؟

أجلس أنا واثنان من أصدقائي في صالة نبطشية، في انتظار تحرير محضر يخص شقة أحدهما. كلما اقتربنا من أمين الشرطة الأربعيني المسؤول عن المحاضر، كان يوبخنا قليلاً على استعجالنا، ويطلب منا الانتظار. طال الوقت، ثم رن هاتف أمين الشرطة، بدأت المكالمة هادئة، ثم سرعان ما دخلت في منحنى عاصف. وقف الأمين ليغادر الصالة وهو يصبح مبتعداً: «أنا صبرت عليه، وبلعته كتير، بس اللي عمله ده كان... كان... كان...». بدا واضحاً أن الأمين يفتش عن الكلمة المناسبة، وسرعان ما وجدها بعد أن مر من باب الصالة، فقال: «كان البلحة اللي قطمت ضهر البعير». غرفت أنا وصديقي في الضحك، ثم تماسكنا مع عودة الأمين إلى

الصالحة. جلس إلى مكتبه، وسألنا بخجل قوله ٢٥٪: «هيَّا مش البلحة.. صَح؟». شعرنا بالحرج والاندهاش من أنه لمح ضحكاتنا بينما يخرج. قلنا له: «القصة». لم يُعلق، لكن صديقي كان صادقاً وهو يُعبِّر عن مشاعره قائلاً: «بعد أمي الله يرحمها، إنت أول واحد أقابله بيشوف من ضهره». ضحك بقوة، أعجبه مزيج خفة الدم والتقدير المستتر لإمكانياته البوليسية. ثم سأله: «عايزين تعملوا محضر إيه؟».

كانت لطافة صديقنا، وسرعة بديهته، مفتاح إنجاز المهمة.

هناك حل لكل مشكلة في التعامل مع «الغباء، النفسنة، قلة الخيال، الغرور»، إلا ثقل الدم، فلا حل له، لأنه عجينة من كل ما سبق.

«خفة الدم» هي سرعة جريانه في العروق، كنایة عن وجود حياة متداقة، صحيح أنها موهبة، لكن لا تزال لدى كل شخص فرصة على الأقل لكي يتدرَّب على ألا يكون «بني آدم رحم». و«الرخامة»: احتضان البيض. يُقال رخمت الدجاجة بيضها أي: احتضنته. وتفادي حضن البيض أمر لا علاقة له بالنكات وبالإفيهات، ولكن له علاقة بأن تمتلك قدرًا ما من «اللطافة». الاعتراض الذكي

لطافة، مثلما اعترض المصريون على احتكار أحد الولاة للبطاطا وارتفاع أسعارها، فأطلقوا مثلاً يُعدّ مساوئها وصار شائعاً: «البطاطا تكبّر الخرية، وتتقلّ الجريمة»، كنایة عن الإمساك وزيادة الوزن. أو مثلما علق المصريون على كون البرلمان «زي قلته»، بنكتة عن اجتماع السادات مع قيادات لتغيير اسم مجلس الأمة، فاقتصر أحدهم اسم «المصطبة»، واقتصر آخر اسم «الديوان»، واقتصر وزير الداخلية اسم «باتا»، فسأله السادات: «إسمعنى؟»، فقال له: «علشان بنجيب من كل دايرة انتخابية جوز». وعنده حكاية أخرى عن لطافة الطرق التي تمرد بها المصريون عندما شدد الاحتلال قبضته عام ١٩٢٦، فأعلن الشعب مقاطعة البضائع الإنجليزية وفي مقدمتها «الكرافطة»، وكانت تفصيلة أساسية وقتها، وجرى ارتداء المنديل المحلاوي كرابطة عنق، فامتلأت الشوارع بالمناضلين الساخرين.

وقد تأتي اللطافة من تصالح الواحد مع نفسه، مثل السادات الذي اعتاد في كل مرّة يستخدم فيها سكين حشو وتنظيف الباب، أن يمسحه في أقرب شيء له، سجادة أو مفرش، ولاحظ في مرّة ارتباك ضيوفه من هذا التصرف العشوائي، فقال لهم ضاحكاً: «مفيش فايدة، فلاج برضو».

من اللطافة أن تمتلك خيالاً مغامراً، مثل وجيه أبااظة عندما كان محافظاً للبحيرة، ولاحظ تزايداً كبيراً في أعداد المسؤولين والمتشردين في شوارع دمنهور، فقرر أن يجمعهم ويصنع منهم فرقة فنون شعبية، فأحضر لهم المدربين، ونجحت الفكرة، وسافرت الفرقة كثيراً لـ التمثيل مصر في المهرجانات، ويقال إنه لا توجد صورة تجمع عبد الناصر مع فرقة رضا لكن هناك صورة تذكارية تجمعه مع فرقة دمنهور، وقيل وقتها كيف يظهر الرئيس في صورة مع مجرمين سابقين، إلا أن السؤال دُفن مع أصحابه.

من اللطافة أن تمتلك دبلوماسية تُعينك على المواقف المحرجة، مثل حرج المشاهير من سؤال الأهلي والزمالك. سُئل عبد الوهاب عن الموضوع فقال: «كل بيت في مصر فيه واحد زملكاوي معكنت على بقية الناس اللي معاه في البيت». وهرب نجم كبير من السؤال ذات مرّة وكنا في ضيافته، وغيرَ الموضوع وقال: «الزمالك هو أول نادٍ يلعب له ابن رئيس جمهورية»، وذكر «لومومبا» زعيم الكونغو الذي حارب الاستعمار حتى تم اغتياله، وتولّت مصر القيام بعملية مخابراتية لتهريب أطفاله إلى مصر، وكان لسعد الدين الشاذلي دور كبير فيها، وعاش أبناء الزعيم في مصر تحت رعاية ناصر، ولعب ابنه الأكبر

«فرانسو» ضمن فريق الزمالك (جيل فاروق جعفر)، ويُقال إن مستوى فنياته كان عالياً، لكنه عاد مع أسرته إلى بلدتهم بعد فترة.

لطافة امتلاك حيلة أبطال القصص الشعبية<sup>(١)</sup>، مثل الإسكافي صاحب الأسطورة الشعبية «تشميع الفتلة»، الذي كان يعمل في محل لإصلاح الأحذية، وسرق منه بعض الأدوات، فقدمه صاحب المحل للمحاكمة، وسأله القاضي عما كان يفعله ساعة السرقة، فقال له: «كنتأشمع الفتلة»، فسأله عما يقصد، فأخرج خيطاً طويلاً ووضع بدايته في يد القاضي وقال: «أثبتت طرف الخيط في نقطة ثابتة مثلما فعلت الآن»، وأضاف وهو يتبعده: «ثم أمرت عليه بالشمع هكذا»، وتحرك ممسكاً بالخيط وهو «يشمعه» ويتبعده، بينما القاضي ممسك بطرف الخيط، حتى احتفى الإسكافي تماماً. أو أسطورة «شطاره ولا راحة بال؟» التي تسائل عن الأكثر أهمية لإنجاز المطلوب منك، بطلها شاب ذهب إلى صائغ ماهر، وطلب منه أن يصنع له خاتماً بمواصفات معينة، وأنهى الصائغ عمله سريعاً وقدم الخاتم إلى الزيتون الذي اندهش وسألته: «شطاره ولا راحة بال؟»، فقال الصائغ بغرور: «شطاره طبعاً». وكان للصائغ زوجة شابة جميلة، فأرسل إليها الزيتون سلة ممتلئة بالفاكهه

والورود مع رسالة إعجاب بلا توقيع. احتار الصائغ وزوجته في الهدية و هوية مرسليها وما يقصد، وتوترت الأجواء، ثم عاد إليه الزبون بعد يوم وطلب منه صناعة خاتم جديد، وتأخر الصائغ كثيراً في القيام بالمطلوب، ومرت - بدون إنجاز - عدة أيام، عاد إليه بعدها الزبون يسأله: «شطاره ولا راحة بال؟»، فقال الصائغ بيقين كامل: «راحة بال طبعاً».

انتقاء تعبيراتك مع كبار السن، وانتقاء شر المصطلحات السهلة ساحة الخلاف: «كِبرت وخرفت» أو «كِبرت ومُخْكِ نِعِم»، لطافة. يقول الخواجة في مدح الشيخوخة<sup>(٢)</sup> إن «صوت العجوز هو الأكثر مدعاه للاستماع والاقتناع، لأنَّه تخلص من تشويش الشهوات». تفادي القلش المهين لطافة ضرورية، عندك مثلاً «قلشة» مبارك الشهيرة: «خليهم يتسلوا»، عرفنا جميعاً بعد وقت قصير أنها كانت «القلشة» التي قصمت ظهر البعير.

اللطافة ليست غريبة علينا كمصريين. قال ابن خلدون: «أهل مصر يميلون إلى الفرح، والمرح، والخفة، والغفلة عن العواقب». وقال المقرizi: «كأنهم فرغوا من الحساب». الفن في طبائعهم، لكن «الرَّك» على المناخ (و«رَك الشيء» بمعنى: اختبر عمقه).

عندما فاز تمثيل مصغر لمحمود مختار اسمه «نهضة مصر» في مسابقة فنية صارمة في باريس، تبنّت الصحافة الدعوة لجمع التبرعات لبناء نموذج أكبر لهذا التمثال الذي أسهبوا في وصف شكله ومعانيه، ليكون في مدخل العاصمة، فانهالت التبرعات، ولم يخجل البعض من التبرع ولو بستمائة مليون، وعطلت العائلة المالكة المشروع لرغبتها في أن يكون مدخل العاصمة لتمثال الخديو إسماعيل، وضغط الشعب فتم نقل المشروع إلى موقعه الحالي أمام جامعة القاهرة واحتفل آلاف المصريين بافتتاحه في مايو ١٩٢٨.

من لطافة المصريين أن الفن كان مفتاح حشد الناس: حفلات أم كلثوم لدعم المجهود الحربي (وكانوا على سبيل رفع معنويات الضباط الجدد يحرصون على وجود أم كلثوم قبل وزير الداخلية في حفلات التخرج بكلية الشرطة). قطار الرحمة الذي حمل عشرات النجوم في الخمسينيات، وتوقف في كل مدينة يجمع التبرعات. وفي أكتوبر انتشرت إعلانات عن مسرحية المليون مشاهد «مدرسة المشاغبين» بتخصيص إيراداتها للمساهمة في المعركة.

فن حتى في نقل الرسائل: كان المشير أحمد إسماعيل

يفتح معرض غنائم الحرب، وتوافدت كاميرات العالم  
لرؤيه حطام معدات العدو، وساعة الافتتاح أمسك المشير  
بالمقص، ثم استدعى جندياً بلا رتبة وطلب منه أن يقص  
الشريط، ووقف المشير خلفه بخطوة ليقول للعالم إن هذا  
الجندي هو البطل الحقيقي للانتصار.

فن حتى في علاج لعنة الأطفال في الريف وتدريبهم  
على النطق السليم بتردد جمل صارت فلكلوراً مثل:  
«نزلت أدب طلعت أدب. طبق طبقنا طبق في طبأكو.  
خشب السقف خمس خشبات».

لا يعرف الواحد بالضبط متى تخلّى المصريون عن  
اللطافة وتعلّموا الرذالة (و«رَذَلَ الشيء»: قَبَحه وجعله  
يستحق الاحتقار). وكان السادات أول من أشار إلى ذلك  
عندما اختار بيته الريفي مقراً بعيداً عن القاهرة عاصمة  
الأفتدية الأرذال - حسب تعبيره.

رفع المصريون «الكلفة» (و«الكلفة»: مديرية القصر  
الملكي التي تستقبل الضيوف أولاً قبل الملك، بروتوكول  
لاتهاون فيه)، ورفعها يعني إسقاط مسافة ما بينك وبين  
الآخرين مليئة بالاعتبارات. ولا تجسيد لرفع «الكلفة»  
حالياً مثل السوشیال ميديا، ولا علاقة لذلك بحرية الرأي،  
لكنها الرذالة!

الشخص المرح نعمة، وهو صاحب خيال يستطيع أن يكسر به سُم العفريت نفسه. سألت في مرّة أحد أساتذتي الكبار، إن كان يؤمن بفكرة «مصر ولادة»، فقال: «هي ولادة، لكن البطن قلابة». أعتقد أن مصر تغلبت على هذه الأزمة بأن أفرطت في الإنجاب، حتى يصبح لديها كم كافٍ من الأبناء الصالحين القادرين على تصحيح مسار الصنف المضروب، لكن لخطأ تقني ما، يتعرض الطيون لأنخطار جسمية طوال الوقت إذا فكروا في القيام بهذه المهمة. وعندك الموسيقي الراحل الذي سأله عن وجهة نظره في استحقاق عبد الوهاب للقب «موسيقار الأجيال»، فقال: «على الأقل تاريخياً، هذا رجل غنى في فرح مصطفى النحاس، ثم وقف مايسترو لنشيد «وطني حبيبي» أمام عبد الناصر، ومنحه السادات رتبة لواء ووقف يقود بها عزف «بلادِي بلادي»، ثم تردد أن أجهزة الإعلام غيرت تاريخ وفاته من ٤ مايو إلى ٣ مايو حتى لا يتواافق مع يوم عيد ميلاد حسني مبارك الذي أمر له بجنازة عسكرية».

وسأل أحدهم الشاعر مأمون الشناوي عقب سماعه خبر وفاة أم كلثوم: «الله يرحمها، كان عندها إيه؟»، فقال الشناوي: «كان عندها سبعة وسبعين سنة». وفي زلزال ١٩٩٢ سأله نجيب محفوظ عما فعله عندما بدأت الزلزال

وارتجفت الجدران، وكانت تسكن فوقه نجمة الإغراء  
برلتني عبد الحميد، قال: «عندما لاحظت اهتزاز السقف  
ظللت جالسًا في انتظار اللحظة التي ستسقط فيها برلتني  
في حجري».

---

## هامش ١

هناك أكثر من حكاية عن لطافة المثقف الفنان، لطافة النقد تحديداً، فعندما سُئل الكاتب الكبير يحيى حقي عن عيوب القارئ المصري، لم يرد إلا بحكاية، تاركاً للمستمع حرية تفسيرها، فقال: «كتبت مقالاً عن «الدماثة»، أمدحها وأشيد بها، إلا أن عامل المطبعة دون أن يقصد استبدل بكلمة «دماثة» كلمة «دمامة»، وعلى الرغم من ذلك لم تتوقف بعد النشر رسائل الإشادة والثناء».

وكانت الموضة عند ظهور مسرحية «مدرسة المشاغبين» التعامل معها كجريمة، وهاجت الأقلام تهاجم هذه الكارثة الأخلاقية الفنية وقتها، وكانت القيادة لوزير التعليم، ما عدا الكاتب الكبير أحمد بهجت، فقد قال عنها: «في المسرح الفكاهي لا بد أن تقع مبالغات، ومشكلة هذه المسرحية ليست فنية، ولكن مشكلتها - وما أزعج الناس - أنها تُعبّر عن واقع

موجود في المدارس يجب التعامل معه، وتكشف بجرأة عن خلل لا يمكن تجاهل وجوده».

الأمر نفسه عندما ظهر أحمد عدوية، وكان الهجوم عليه دليلاً على رُقي ونبوغ المُهاجم، وكتب فيه قصائد تُنهي مسيرته مبكراً. الوحيد الذي تعامل مع التجربة بُرقي حقيقي كان نجيب محفوظ، قائلاً: «أجد فيما يُعنيه كلاماً وأنقاماً تعجبني»، وقال إن عدوية أصدق من كثيرين، وإن صوته يشبه كل ما يحيط به من ظروف الحياة وشكل البيوت والشوارع. ليجعل محفوظ من التعلّي على التجربة اتفصالاً عن الواقع. وأنهى شهادته مخاطباً المذيع الذي كان يسألة: «الغناء ليس هو ما يعجبني ويعجبك فقط، انظر إلى ما يعجب الملايين».

## هامش ٢

قال الطبيب: «نظرك زاد نصف درجة». كنت أتوقع العكس وأنا أفتشر عن علاج للزغللة. قلت للطبيب: «نظري يزداد قوة.. لا بد أنني أصغر في السن»، فقال: «بالعكس، معناها إنك كبرت وستحتاج إلى نظارة قراءة».

لاحظت في الفترة الأخيرة أنني أحتاج إلى خلع النظارة الطبية لقراءة رسائل المحمول بشكل أفضل، وضيّعت نفسي أكرر الحركة التي كنت أسرّع من جدتي بسببها: أن أبعد ما أقرأ عن عيني حتى مستوى الخصر. تقع مني نقاط فوق الحروف،

وأدخل أحياناً في متلازمة عبلة كامل «يا تنس.. يا بس». ويختفي سطح الترجمة في الأفلام الأجنبية قبل أن الحق باخر كلمتين فأستعين بزوجتي. الروشتة الداخلية في علب الأدوية صارت مأساة، صارت قراءتها عملية معقدة، في البداية أصوّرها بكاميرا الموبايل، ثم أفتح الصورة وأكبيرها كلمة كلمة بالإصبعين. كنت أتعامل مع الأمر بصورة طبيعية، أفسره كعادة المصريين بـ«ما فطرتش كويس»، ثم بدأت تظهر زغللة تشبه اللقطات التي تسبق فقدان البطل للذاكرة في الأفلام القديمة.

قال الطبيب: «تشريحياً كله تمام». لكنني كنت أعرف أنها رسائل ما بعد الأربعين الجديرة بالاهتمام، لأنها تحدد شكل الحياة القادمة. أؤمن بمقولة الخواجة: «الشيخوخة الجيدة تبدأ في الشباب». وهو بالنسبة القائل أيضاً: «الشباب يقفون خلف الثورات على الأنظمة، والشيخوخة يقفون خلف استعادتها». المهم، كنت أحاول أن أطمئن نفسي بأنه لسه بدرى، ولم يتتصف الطريق بعد، وما تبقى في قائمة الأحلام أضعاف ما تحقق، فلا تبالغ في استحضار الشيخوخة، وأنت في الغالب لن تستخدم هذه النظارة وستظل «مرمية» في الدولاب. إلى أن ذهبت لاستلامها من محل بصريات بأحد المولات، وقررت بعدها بالمرة أن أشتري قطعتي ملابس، وهو مالم أفعله منذ فترة، حتى إن إحدى القراءات في ندوة بالإسماعيلية سألتني: «ما سر القميص الأخضر والإسماعيلية؟». قلت: «لا أفهم». قالت: «أصلك كنت بنفس القميص هنا في ندوة

السنة اللي فاتت». فأكدت على زوجتي: «ما تسيبنيش أخرج من البيت بالقميص ده تاني». المهم، في أحد المحلات أعجبني قميص، وفي غرفة البروفات زارني هاجس أن القميص «مهزأني شوية»، فألوانه تليق بشاب عشريني متحرر، وستايل «السليم فت» يحتاج إلى جسد نحيل، والقميص يبدو أجمل كثيراً وزراره العلوي مفتوح، وهذه لم تعد شخصيتي، لكنني أحببت القميص بشدة ونادرًا ما يعجبني شيء. صراع نفسي هائل بين احتمال «الأناقة الشبابية» واحتمال «قلة القيمة». قررت أن السعر سيحسم الأمر، سأتركه إذا كان غالى الثمن ويتجاوز رقماً حدّدته بيّني وبين نفسي.

خلعت القميص، وسحبت التيكيت لأقرأ السعر، ولم يحسم الأمر ما قرأته، ولكن ما حسمه بالنسبة إلىّي أنني لم أستطع قراءته إلا بالنظارة الجديدة.

## إهداء... إلى «بيت»

بيتر يكبرني بعامين، وكانت أمه تسير على نهج شائع في بعض البيوت القبطية وقتها: تحريم جهاز التلفزيون، أو على الأقل، وجوده في البيت. إلا أن والده وضع الجميع أمام الأمر الواقع، واشترى جهازاً مستعملاً «أبيض وإسود»، وخبأه عند شقيقه، ثم قرر أن يُحضره ويُشغله في يوم «يكون أجازة»، حيث الأجواء العائلية أطف وأكثر هدوءاً، تحسباً لأي مشاكل.

استقبلت الأم دخول الأب بالجهاز وهي غير مُصدقة، وظلت صامتة، بينما الأب بمعاونة بيتر يضبط كل شيء. حتى ظهرت صورة. جلس الأب على كرسي الصالة الواسع، وجلس بيتر أرضاً وكانت فرحته عظيمة، خصوصاً والتلفزيون يذيع استعراضات عسكرية حماسية ومبهرة

لطوابير الجيش والمركبات وتشكيلات الطائرات، ثم حدث ارتباك ما في المشهد مصحوب بصوت طلقات رصاص. انقطع الإرسال، وبدأ التلفزيون يذيع تلاوات قرآنية. يقول بيتر: «بدأت أمي تبكي، ورأيتها وهي تلمم في حقيبة قديمة بعض الأشياء وتستعد للانصراف، في الوقت الذي سمع فيه صياح الجار «قتلوا السادات.. قتلوا السادات»».

يقول بيتر: «دفع السادات ثمن عدم رضا أمي، وكنت أعتقد أن الموضوع قد توقف عند هذه النقطة. بيت سيئ الحظ، دخله التلفزيون للمرة الأولى يوم اغتيال رئيس الجمهورية، بما يعني أنه لا أفلام ولا مباريات ولا أغاني لفترة لا يعلمها إلا الله. لكن أمي قبل أن تخرج وقفت عند الباب في انتظار أن يجري أبي خلفها ويراضيها، وهو ما لم يكن أبي ليفعله، لأنه كان قد توفي في مكانه، ربما قبل السادات».

دخلت أم بيتر جمعية بشمن التلفزيون، ولم تكن هناك فرصة لمناقشة فكرة وجود تلفزيون في البيت حتى وقت آخر، قدره بيتر وقتها بأنه إلى الأبد.

اتجه بيتر إلى الصحف، يأخذ مصروفه لشراء ساندوتشين طعمية، فيشتري واحداً، وبشمن الآخر يشتري جريدة تتغير كل يوم. كان يقص من الجريدة الأخبار

المهمة والطريقة، ويلصقها بالصمغ في دفتر تموين كبير سرقه من محل خاله. ومع الوقت صار يُكُون ألبومات لقصاصات الصحف. كان النسخة المتحركة من برنامج «أقوال الصحف». اكتشفناه - وكان اكتشافاً حقاً - في المدرسة الإعدادية. كان فاكهة وقت الفسحة. حتى انتقل إلى الثانوي، فصرنا نمر عليه كل يومين، ونتظره أمام شقته الموجودة في الطابق الأرضي، حتى يخرج لنا من الشرفة الضيقة بالدفتر لتفحصه معاً.

تبعدنا معه قصة اغتصاب «فتاة المعادي» التي شغلت مصر، لكونها جريمة من نوع غريب وغير شائع في مصر. كنا في حاجة أصلاً لمن يشرح لنا معنى كلمة «اغتصاب». شرحها لنا بيتر، ثم أخذ يوافيينا بالقصة وتطوراتها. لم نعرف للضحية اسمًا سوى «فتاة المعادي»، اسمها الحقيقي مُنْع نشره لحمايتها من المتطفلين. ولاحظ بيتر أنه حتى الحوار الصحفي الوحيد الذي نُشر معها في «أخبار اليوم» لم يحمل توقيع الصحفي الذي أجراه.

تابعدنا معه قصة المجند سليمان خاطر، عسكري الحدود الذي قتل ستة إسرائيليين في سيناء، من بدايتها، مروراً بكل تفاصيلها، حتى نُشر خبر انتحار خاطر في الصفحات الأولى.

تابعنا معه خناقة محمود الجوهرى وصالح سليم، وحبس سعيد صالح لخروجه عن النص، ومؤسسة الجفاف في أفريقيا، قضية بليغ حمدى، وإطلاق قناة تلفزيون جديدة لأهل العاصمة فقط (القناة الثالثة).

كانت مقابلة بيتر ملهمة دائمًا. تعلمت منه فكرة المراقبة، والتأمل، وربط الأحداث. و كنت كثيراً ما أعرض عليه قصاصات اخترتها بنفسى من صحف الأپ، فيتأملها، وإذا ما أعجبه شيء كان يُعلّق بـ: «لا بأس».

كان حاضرًا في ذهني طوال العمل في هذا الكتاب. بيتر الذي ساعده الحرمان من التلفزيون على اختراع طريقة للبقاء على اتصال بالعالم.

بعد وفاة والدته طلب منه خاله أن ينتقل للإقامة معه. قلنا له على سبيل الطبطة: «خالك عنده تلفزيون». قال: «تلفزيون خالي موجود في غرفة نومه، ويسمح لأبنائه بالدخول على مزاجه، فما بالك بالغريب! بخلاف أن مراته قوقة ولا تحبني».

طلب صاحب العمارة استعادة الشقة، وعرض مبلغًا رأى الحال أنه سيساعد بيتر عند الالتحاق بالجامعة. عرضت أنا وصديق أن نساعدك يوم «العزال» في نقل أشيائه، ودخلت غرفته للمرة الأولى.

غرفة صغيرة، اختلط لون الجدار الأبيض فيها بطلاء قديم أسفله يميل إلى الأزرق، وفي كل الأركان رصبة جرائد تكاد تقترب من منتصف الحائط، رصبة «الأهرام» و«الأخبار» و«المساء» حتى جريدة «الزمالة» و«صوت سوهاج». وفي أحد الأركان منضدة خشبية بُنية اللون، رُصت فوقها دفاتر المختارات الصحفية، وعلب الصمغ الشفافة، وأباجورة صدئة بلمية كبيرة، ومسطرة كبيرة، وطبق بلاستيك به أمواس كاتر. وفي مواجهة المكتب صورة متآكلة للأطراف للقديس «مار جرجس» فوق حسانه، مثبت في نهايتها صورة ٦ في ٩ للأم، وأسفل الصورة مكتوب على الحائط بخط اليد: «فَإِنَّهُ هَكَذَا كَانَتْ قَدِيمًا النِّسَاءُ الْقِدِيسَاتُ أَيْضًا الْمُتَوَكِّلَاتُ عَلَى اللَّهِ».

لم تكن مجرد غرفة، كانت محراباً.

التحق بيتر بإحدى الكليات النظرية، وأصبح أستاذًا بها. هاتفته أستاذته في نشر القصة، فوافق. سأله إن كان يمتلك جهاز تلفزيون الآن. قال: «عندِي واحد لكنه محظى، نادرًا ما أستطيع أن أقتنص الريموت كنترول من يد أربعة أطفال وزوجة، ولو حدث فلوقت محدود، وهذا أمر مريح نفسياً بالنسبة إليَّ، فأنا أخاف إن أخذت راحتي وتمددت أمام جهاز تلفزيون أن ألقى مصير أبي».

قبل إنتهاء المحادثة طلب مني ألاً أذكر اسمه، وأن  
أستخدم اسمًا حركيًّا، بشرط أن يكون «اسمًا مسيحيًّا».  
قلت له «مارأيك في شنودة؟». قال: «مباشر أوي». قلت  
له: «بيتر؟!». قال: «لا بأس».

## مصادر

كل الشكر والتقدير للأساتذة والزملاء الذين كانت  
أعمالهم الفكرية والبحثية شريكاً أساسياً في بطولة هذا  
الكتيب.

إبراهيم أحمد شعلان. موسوعة الأمثال الشعبية المصرية  
والعبارات السائرة. القاهرة: دار الآفاق العربية، ٢٠٠٣.  
إبراهيم عبد العزيز. ليالي نجيب محفوظ في شبرد.  
القاهرة: بستانة للنشر والتوزيع، ٢٠١٧.

ابن بطوطة. رحلة ابن بطوطة: المسماة تحفة النظار في  
غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. بيروت: دار الكتب  
العلمية، ٢٠٠٧.

ابن ظهيرة. الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة.  
القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٩.

- أحمد أمين. قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية.  
القاهرة: دار الشروق، ٢٠١٠.
- أحمد الحضري. تاريخ السينما في مصر. القاهرة:  
الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧.
- أحمد مصطفى. حادث المنصة وأحاديث مع وزراء  
الداخلية. القاهرة: دار المعارف، ٢٠١٢.
- أرتيميس كوبر. القاهرة في الحرب العالمية الثانية:  
١٩٣٩-١٩٤٥. ترجمة: محمد الخولي. القاهرة: المركز  
القومي للترجمة، ٢٠١٦.
- أشرف عزيز. الكنيات العامية المصرية. القاهرة:  
الحضارة للنشر، ٢٠٠٧.
- اعتدال ممتاز. مذكرات رقيبة سينما. القاهرة: الهيئة  
المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥.
- إلهام محمد السيد عفيفي. معركة بناء السد العالي  
وتأثيره الاقتصادي: ١٩٥٢-١٩٨٧. القاهرة: دار الكتب  
والوثائق القومية، ٢٠٠٩.
- آمال العمدة. صحبة وأنامعهم. أربعة أجزاء. القاهرة:  
الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢-٢٠٠٩.
- آمال العمدة. عقدتي. القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٨.

أمل فهمي. *أبناء الأسرة المالكة ودورهم في الحياة المصرية*: ١٨٨٢-١٩٢٨. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦.

آمنة حجازي. *الجريمة في مصر: ١٩١٩-١٩٣٩*. القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠١٤.

آن وولف. *كم تبعد القاهرة؟* ترجمة: قاسم عبده قاسم. القاهرة: المشروع القومي للترجمة، ٢٠٠٦.

أنور السادات. *أسرار الثورة المصرية: بواعتها الخفية وأسبابها السيكولوجية*. القاهرة: دار الهلال، ١٩٥٧.

إيريس نظمي. *مذكرات عماد حمدي أشهر فتى شاشة*. القاهرة: دار أخبار اليوم، ١٩٨٤.

باتريك أورشادنيك. *أوروبيانا: مختصر تاريخ القرن العشرين*. ترجمة: خالد البلياتجي. القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، ٢٠١٤.

جاستون فييت. *القاهرة مدينة الفن والتجارة*. ترجمة مصطفى العبادي. القاهرة: دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٨.

جمال الغيطاني. *ملامح القاهرة في ألف سنة*. القاهرة: دار نهضة مصر، ٢٠٠٧.

جون لويس بوركهارت. العادات والتقاليد المصرية من الأمثال الشعبية في عهد محمد علي. ترجمة: إبراهيم أحمد شعلان. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩.

جيمس كلير. العادات الذرية: منهج سهل لبناء عادات جيدة والتخلص من العادات السيئة. ترجمة: محمد فتحي خضر. بيروت، القاهرة، تونس: منشورات الرمل، دار التنوير، ٢٠١٩.

حافظ علي أحمد سلامة. ملحمة السويس في حرب العاشر من رمضان: حقائق ووثائق للعبرة والتاريخ. القاهرة: د.ن، ٢٠٠١.

حافظ محمود. حكايات صحفية. القاهرة: كتاب اليوم، ١٩٨٤.

حامد حسب. السويس: تجربة مدينة. القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٠.

حسين العشي. خفایا حصار السويس: مائة يوم مجهولة من حرب أكتوبر ١٩٧٣. القاهرة: دار الحرية، ١٩٩٠.

حسين فوزي. سندباد مصرى: جولة في رحاب التاريخ. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧.

حمدي البطران. مصر بين الراحلة والمؤرخين. القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٩.

- خالد فهمي. كل رجال البasha: محمد علي وجيشه وبناء مصر الحديثة. القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠١.
- رزق حسن نوري. تجار القاهرة في عصر محمد علي: ١٨٤٨-١٨٥٥. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٨.
- روبير سوليه. قاموس عاشق لمصر. ترجمة: عادل أسعد الميري. القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٢.
- زينب عبد الرزاق. فاتن حمامه. القاهرة: دار الشروق، ٢٠١٦.
- سامح كريم. العقاد في معاركه السياسية. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠.
- سعيد الشحات. ذات يوم: يوميات ألف عام... وأكثر. مجلدان. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٥-٢٠١٧.
- سعید هارون عاشور. أخبار المصريين في القرن العشرين. أربعة أجزاء. القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠٠٧-٢٠١٠.
- سلیم حسن. حکمة المصريين القدماء. القاهرة: الكرمة للنشر، ٢٠١٨.

سميح عبد الغفار شعلان. *الخبز في المأثورات الشعبية: دراسة في الأطالت الفولكلورية*. القاهرة: دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٢.  
سميحة أيوب. ذكرياتي. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٧.

سناء البيسي. *سيرة العجائب: ٥٥ شخصية من قلب مصر*. القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٩.  
شوقي ضيف. *الفكاهة في مصر*. القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٩.

الصاوي حبيب. *مذكرات طبيب عبد الناصر*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧.

صلاح عيسى. *سلامي عليك يا زمان*. القاهرة: الكرمة للنشر، ٢٠١٩.

طارق حبيب. *ملك وثلاثة رؤساء: شهادات واعترافات أكثر من ٧٠ شخصية ارتبطت بحكام مصر*. القاهرة: دار الشروق، ٢٠١٠.

طارق الشناوي. *أنا والعذاب وأم كلثوم: مذكرات محمود الشريف*. القاهرة: دار الحياة ودار الفرانس، ٢٠٠٥.  
طارق رضوان. *عام الحسم: السادات والناس - مصر ٦٧*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٥.

طارق الطاهر. ملحمة الدم والجبر: «الأخبار» دفتر  
أحوال المصريين في أكتوبر ١٩٧٣. القاهرة: الهيئة العامة  
لقصور الثقافة، ٢٠١٩.

طارق الطاهر. نجيب محفوظ بختم النسر. القاهرة:  
الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٩.

طابع الديب. جمهورية الضحك الأولى: سيرة التشكيل  
السياسي في مصر. القاهرة: بناة للنشر والتوزيع، ٢٠١٩.  
عباس متولي. صوت العرب: الإذاعة التي قوشت أركان  
الاستعمار. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٩.  
عبد الرحمن الرافعي. ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢:  
تاريخنا القومي في سبع سنوات ١٩٥٩-١٩٥٢. القاهرة:  
دار المعارف، ٢٠١٨.

عبد الرحمن فهمي. حكايات رياضية. القاهرة: دار  
أخبار اليوم، ١٩٩٨.

عبد اللطيف المناوي. الأيام الأخيرة لنظام مبارك.  
القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠١٢.

عبد الله أحمد عبد الله (ميكي ماوس). ٦٠ سنة سينما.  
القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٨.

عبد الله إمام. جيهان: سيدة مصر الأولى والأخيرة.  
القاهرة: روزاليوسف، ١٩٨٥.

عبد الوهاب بكر. الجريمة في مصر في النصف الأول  
من القرن العشرين - الشوارع الخلفية. القاهرة: دار الكتب  
والوثائق القومية، ٢٠١٢.

علماء الحملة الفرنسية. موسوعة وصف مصر. ٣٧  
جزءاً، ٣٥ مجلداً. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،  
٢٠٠٥-٢٠٠٢.

علي متولي أحمد. مصر ١٩٥٦: التأمين والعدوان  
والانتصار. القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية،  
٢٠١٨.

عمر بطيسة. ذكرياتي مع نجوم الأغاني. القاهرة: الهيئة  
المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٨.

عمر بطيسة. شاهد على العصر. القاهرة: مكتبة الدار  
العربية للكتاب، ١٩٩٤.

عمرو عبد العزيز. الأساطير المتعلقة بمصر في كتابات  
المؤرخين المسلمين. القاهرة: الهيئة المصرية العامة  
للكتاب، ٢٠١٢.

عمرو عبد العزيز. ثورات مصر الشعبية. القاهرة: الهيئة  
المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٥.

عمرو فتحي. موسوعة أغاني عبد الحليم حافظ.  
القاهرة: الكرمة للنشر، ٢٠١٩.

فاروق فهمي. هيكل وعبد الناصر. القاهرة: مؤسسة  
آمون، ١٩٨٧.

فتحي غانم. معركة بين الدولة والمتقين. القاهرة: دار  
أخبار اليوم، ١٩٩٥.

فلاديمير فينوجرادوف. مصر من ناصر إلى حرب  
أكتوبر. ترجمة: أنور محمد إبراهيم. القاهرة: المركز  
القومي للترجمة، ٢٠١٦.

فيلهلم شيتا. حكايات شعبية مصرية. تحقيق ودراسة:  
مصطفى ماهر. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،  
٢٠١٣.

كريم ثابت. طلاق إمبراطورة: طلاق شاه إيران  
والإمبراطورة فوزية - القصة الكاملة والأسرار الخفية.  
القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٥.

ماركوس توليوس شيشرون. في مدح الشيخوخة.  
ترجمة: فتحي أبو رفيعة. القاهرة: بناة للنشر والتوزيع،  
٢٠١٧.

مؤلفون. وماذا بعد حرب أكتوبر؟ القاهرة: دار  
المعارف، ١٩٧٤.

Maher Zeddy. Sîd Mkaûi: Chân al-bâhja. Cairo:  
Hîthiyyat al-masriyya al-âmmâ li-ktab, 2019.

مجدى نجيب. من صندوق الموسيقى: زمن الغناء الجميل. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١.  
محمد أبو العلا. الألغاز الشعبية في محافظة الدقهلية. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٥.

محمد أحمد غنيم. العادات والتقاليد في دلتا مصر. القاهرة: دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٥.

محمد التابعي. ألوان من القصص. القاهرة: دار الهلال، ١٩٧١.

محمد توفيق. الملك والكتابة: قصة الصحافة والسلطة في مصر. شبين الكوم: دار دلتا للنشر والتوزيع، ٢٠١٧.  
محمد الجوهرى. معجم لغة الحياة اليومية. القاهرة: المكتبة الأكاديمية، ٢٠٠٧.

محمد حسين هيكيل. بين الصحافة والسياسة. القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٣.

محمد داود التنير. ألفاظ عامية فصيحة. القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٨.

محمد سلماوي. قالوا لي. القاهرة: دار المعارف، ٢٠١٤.

محمد شعير. أولاد حارتنا: سيرة الرواية المحرومة. القاهرة: دار العين للنشر، ٢٠١٨.

- محمد عبد المقصود. حواديت الأمثال العامية.  
القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢.
- محمد فوزي. حرب الثلاث سنوات: ١٩٦٧-١٩٧٠.  
القاهرة: الكرمة للنشر، ٢٠١٦.
- محمود جامع. عرفت السادات. القاهرة: المكتب المصري الحديث، ٤٠٠.
- محمود الحويري. مصر في العصور الوسطى. القاهرة:  
دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٣.
- محمود عوض. شخصيات. القاهرة: دار المعارف،  
١٩٩٨.
- مرتضى المراغي. شاهد على حكم فاروق. القاهرة:  
دار المعارف، ٢٠٠٧.
- مصطفى محرم. حياتي في السينما. خمسة أجزاء.  
القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٨-٢٠٠٣.
- مفید فوزی. نصیبی من الیحیا. القاهرة: الدار المصرية  
اللبنانية، ٢٠١٣.
- ممدوح حامد عطية. بور سعيد: بطولة جيش وصمود  
شعب. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٨.
- نادية صالح. زيارة لمكتبة فلان. القاهرة: دار أخبار  
اليوم، ١٩٩٨.

- ناصر عبد الله عثمان (إعداد). السلطة وعرض حالات  
 المظلومين من عصر محمد علي: ١٨٢٠-١٨٢٣. القاهرة:  
 دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٩.  
 نعمات أحمد فؤاد. شخصية مصر. القاهرة: دار نهضة  
 مصر، ٢٠١٤.  
 نعمان عاشور. بطولات مصرية. القاهرة: روزاليوسف،  
 ١٩٧٣.  
 هرودوت. هرودوت يتحدث عن مصر. ترجمة: محمد  
 صقر خفاجة. القاهرة: دار القلم، ١٩٦٦.  
 وينفرييد بلاكمان. الناس في صعيد مصر: العادات  
 والتقاليد. ترجمة: أحمد محمود. القاهرة: دار الشروق،  
 ٢٠١٠.  
 ياسر ثابت. فيلم مصري طويل. القاهرة: مركز الحضارة  
 العربية للإعلام، ٢٠١٠.  
 يونان لبيب رزق. «الأهرام»: ديوان الحياة المعاصرة.  
 القاهرة: وكالة الأهرام للتوزيع، ١٩٩٨.  
 يونان لبيب رزق. شئون وشجون تاريخية. القاهرة:  
 الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٥.

## شَكْر

نجلاء بدير

عاليا عبد الرؤوف

نورا ناجي

محمد هشام عبيه

## عن الكاتب

مواليد صعيد مصر في منتصف السبعينيات. صدر له عدّة كتب من بينها: رواية «كحل وحبهان»، «صناعية مصر.. مشاهد من حياة بعض بناء مصر في العصر الحديث»، «أثر النبي - قصص قصيرة من وحي السيرة»، «إذاعة الأغاني - سيرة شخصية للغناء»، «كتاب المواصلات.. حكايات شخصية لقتل الوقت»، «بالقرب من نهر بيدرا جلست وبكيت - ترجمة لرواية باولو كويلو»، «شكلها باذلت - ألبوم اجتماعي ساخر»، «زملكاوي - ألبوم مؤوية الجماهير»، «جر ناعم - ألبوم القصص والشعر»، «نظريّة برمًا».

كتب للسينما عدّة أفلام من بينها: «طير إنت»، «يوم مالوش لازمة»، «كابتن مصر».

أصدر عدة دواوين شعرية من بينها: «وضع مُحرج»، «قهوة وشيكولاتة»، «مشوار لحد الحيطه»، «عرفوه بالحزن».

كتب أغانيات لكثيرين من بينهم: أصاله، رامي صبري، أحمد عدوية، كايروكي، سعاد ماسي، أحمد سعد، محمد عساف، عزيز الشافعى.

قدم عدة برامج إذاعية من بينها: «واحد صاحبى»، «الطريق إلى عابدين»، «شفت ربنا؟».

قدم عدة برامج تلفزيونية من بينها: «كلام جرайд - ٢٠٠٥»، «مصري أصلي - ٢٠١٠»، «اتجحن مع كوكولا - ٢٠١٣»، الحلقات الوثائقية «وصفوالي الصبر»: عن الكتابة وأهلها - ٢٠١٨.

كتب للتلفزيون مسلسل الكارتون «سوبر هنيدى». حصل على عدة جوائز من بينها: جائزة أفضل كاتب مقال في ٢٠١٥ في استفتاء مجلة «الشباب». وحصل كتابه «إذاعة الأغاني» على جائزة أفضل كتاب في ٢٠١٥ في استفتاء المكتبات والقراء.

يُقدّم الكاتب الشكر مُسبقاً على أي ملاحظات أو تصويبات  
أو تعليقات

omertaher@yahoo.com



● t.me/AdamLibrary

**لكل جديد وقديم وكل ما هو نادر  
من من كتب ومجلات ومجلدات**

**تابعوا موقعنا**

**#دوده\_الكتاب**

**[www.book100100.ga](http://www.book100100.ga)**